
الصيدلاني
عقاقير
الصمت والحلم والنسيان
شعر وفوتوغراف
عقاقير الصمت والحلم والنسيان
شعر و فوتوغراف

الصيدلاني

عقاقير الصمت والحلم والنسيان

شعر وفوتوغراف

ناصر مؤنس

اسم الكتاب : (الصيدلاني – عقاقير الصمت والحلم والنسيان)

شعر و فوتوغراف

اسم المؤلف : ناصر مؤنس

التصميم وختم الكتاب

الطبعة الأولى : 2014

الناشر : دار مخطوطات

Makhtootat press and publishing house

Mauvelaan 67

2282 SW Rijswijk

The Netherlands

E-mail: nasirmounes@hotmail.com



(ختم هذا الكتاب)

(1)

ماذا يريد الصيدلاني الساهر على رئة القصيدة



(2)

عائداً من تجربة الموت، منكسراً كهدنة، متظاهراً بالخواء، تهبط من حافلة الحياة، تتردّد قليلاً، وتقول: خدعة الكون تحتاج إلى صيدلاني ليصدّقها، إلى ساحر في أرض النسيان وصيدلية تملأها الأساطير. الأساطير المؤجلة، المختلَقَة، المخفية، وتلك المحفوظة عن ظهر قلب.

أمن اللائق أن يتحوّل العالم إلى صيدلية؟

إلى سعال يؤرق نعاس حياتنا؟

تهبط من حافلة الحياة، وهي تغلق خلفك بابها كستارة صامتة سوداء، في يدك حقيبة عتيقة، مكتظّة بملاحظات الأطباء عن تاريخ موتك وبصور مقابر (المقابر رطبة من الذكريات). الذكريات تحمل رطوبة الأشباح، الاشباح التي تقايضك بالنسيان.

تعثر

– غير طائع -

بالظل الواقف في داخلك وهو يداعب جثامين أيامه، بالنسيان الذي يحتاج إلى المزيد من العقاقير، بضحكات المصور وهو يلتقط صورة فوتوغرافية لسوادك. سوادك العائد من تجربة الموت.

في قاعة انتظار المحطة، الساعة القديمة تطلق إشارتها إيذاناً بوصولك، حيث ينتظرك صيادلة الكلمات حاملين الشراشف البيض والجرعات المطلوبة من الألم. حصتك من السفر إلى العالم الآخر وزجاجة مملوءة برماد جسدك، بجوارهم يقف ملائكة يحملون كاميرات تنتج كائنات غير قادرة على الحياة، وليس بعيداً، في الظل، هناك موتى ينتظرون انتهاء الطقوس ليدفنوا الأرواح في المرتفعات. المرتفعات التي سوف نلجأ إليها حين تحل نهاية العالم.


الكلمات تمرض ايضا

(3)

خارجاً من ظلمة الرحم ترقب ملائكة يتجادلون في غرفة الولادة، تنظر إلى أفواههم حين تنفتح وتنطبق من دون صوت. كنتَ المراقب الوحيد لملاك يلتقط الصور الفوتوغرافية، وكان الملاك يصوّر الخيالات المفقودة، المصغرة كنقطة تجريدية، كانت الخيالات تلتف أو تتشنّج وترسم عوالم غير متخيلة من قبل، كانت تريد أن تقلب الحسّ بمنظر الأشياء، تغرّر به وتدخله ردهة المرضى، تريد أن تصوّر الخيال كخيال، تجعل منه إسماً راشداً، وكانت تظنّ أنها قادرة على تصوير الافتراضات التي تشرق في خيال العدم.

تلك الولادة الغريبة التي سبقت صحوتك.

صحوتك الملطّخة بعطر السحر.

السحر الذي يختلط به الكبريت بالبخور

كانت تريد احتضان حبّة الغبار، غبارك أيّها الصمت.

تقول، في غرفة الولادة هذه

التي أعدّها القدر لعروض مصائرنا

تتعطّل الإضاءة – أحياناً-

ونحن نعدو في الفضاءات اللانهائية

في طريقنا إلى الرب – زعيم الحرب القبلي الذي أصبح رمزاً كونياً.


الجمال ، الجمال التام
لقد مات أثر إصابته
بجرائم العالم

(4)

يريد أن يعود إلى طفولته ليموت فيها

لكن، الملاك أسود وكئيب.

على أرض الممرّ الباردة بصاق طري وفضلات، الموت يلمع مثلما يلمع البصاق. والحياة كوردة منسيّة في الصقيع، تراقب الملاك الذي وصل بربطة عنق سوداء، وها هو يشقّ طريقه بين الردهة والمرايا، تتقصه روح المرح وخصال التودّد، تراقبه معجزة عذراء، تردّد: -أنها ليل هذه الحياة المنسيّة كوردة في الصقيع، إنها ثلج أسود وكئيب.

يريد أن يعود إلى طفولته ليموت فيها

لكن، الملاك أسود وكئيب.

جسده العاري يتقوّس من الألم
وسعاله الحاد
يسمع
كصرخة طائر غريب.

توقّف الملاك قدّامه
سكن الجسد العاري
وارتفعت العينان إلى الأعلى
كمن لا ينتظر وصول أحد.

من حدقتي العينين
تسلل الملاك إلى داخله.

أراد أن يعثر على ذلك السحر الغامض الذي يلمع من الداخل، جال داخل الجسد من الرأس حتى القدمين، سار مع مجرى الدم، تصفّح حجرات الألم والموت، حدّق إلى الشرايين والأعصاب والأمراض إلى التصدعات والوخزات والخسائر. يا لهذا الجسد الذي يلبسه الظلام، ردّد الملاك. وانحدر في العتمة

كحيّة مضيئة. وكما يليق بملاك يجول من غير أن يترك علامة تدّل على وجوده.

لمعت قدّام عينيه لألأة لشيء ما، سار وراء خيط الضوء، توقّف عند رقصة الألوان، وضع علامة تشبه الرمز أو الصليب، أخرج مدية وبدأ يحفر هناك.

حفر الملاك، حفر ببطء وصمت، حفر حياة معطوبة، حفر الأعصاب والنيّات، الهزائم والخسارات، حفر العري، حفر الظلال، حفر الخيال، كان يريد أن يصل إلى ضوء النهار في هذا الجسد الذي يشبه مقبرة منسية في حدائق الخريف.

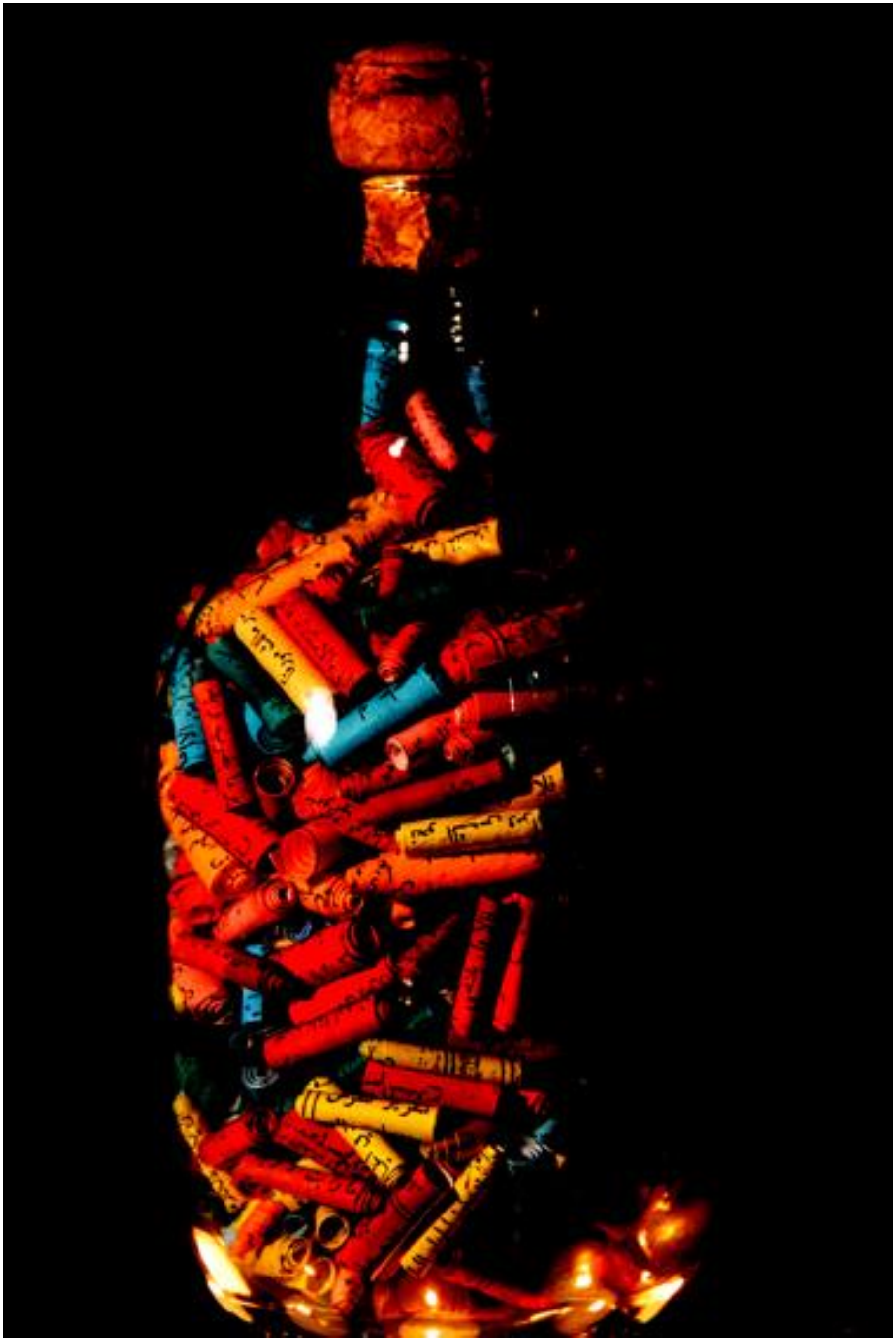
أما هو الذي أعياه الألم

فلم يعنِ له شيئًا وجود الملاك في داخله

أراد فقط أن يهمس بسلام

-أنا لا أقطن هنا

لا، لا أقطن هنا، أتفهم أيّها الملاك؟



(5)

عائداً من موت كان مختبئاً في داخلك على الدوام، تدخل صيدلية تشبه ردهة طائرة، وتقول، هذه الحياة لا تساوي غير لعنة. وبعد أن تتيقّن أنّنا لم نبلغ الروحانية التي تعيننا على استدعاء ضمير العالم، تجلس فوق عقاقير غادرها مرضى لم يحبوا النعم والبركات. تسأل، ماذا تفعل الآخرة بكل هؤلاء الموتى؟ ماذا تفعل فكرة الألوهية بسعادتنا البشرية؟ ستحتفظ بما للرب من نصيب، وتقول، القيامة محكمة تفتيش مقدسة نحن ضحايا الإيمان بها.

تسأل المستقبل أملاً لا يملكه

يا من نسيت النعاس والزمن

أنتَ الساهر على روحك الميتة.

تقول، سعيد هو الملاك

الذي يحضر حفلة القيامة

بملابس

لم يقترحها الله.


كتعويض عن الكلام الواهي
وعلاج له

(6)

في حلمه جاءت كلمات لها ظلال

كلمات تنظر إلى كلمة تجلس وحيدة في صالة الانتظار، تحدّق إلى المصباح الوحيد، كأنها تريد أن تقول: الكلمات، ليست هذه الحشرات المنفوخة كآخر الأباطرة، ليست هذه العقاقير التي تجلب السأم ولا رأس هذا الملاك الذي يذكرنا بقبعة القرصان، ليست هذه الضمادات المشبعة دماً ولا هذا الشاش الغارق في القذارة والقيح.

في حلم الكلمات جاءت كلمة لها ظل.

كلمة تجلس وحيدة، تنظر إلى الكلمات التي تدخل الردهة مدفوعة بعاهات خفية.

كلمة وحيدة تحدّق إلى المصباح الوحيد.

ربما هي بانتظار كلمة أخرى، كلمة منسيّة كعلامة قديمة، تأتي من مكان بعيد، لتكون في صحبتها، ربما تفهم إشاراتها وتبادلها صوراً من بلدان بعيدة، ربما تتحدّث معها عن كلمات لها ظلال تجيء في الحلم، كلمات شغوفة بالأبدية وبالذهب الوهمي للخيال. كلمة مثلها تماماً، معدومة الجدوى وبلا معنى مرتجى. ليست في عجلة من أمرها، وربما تساعدها على جمع هذه (الكلمات – العقاقير) والقائها في النار.

كلمة لها رغبة في عناق غير المرئي، ترقص معها وسط ظلال الكلمات التي تتشقّق وتتلوّى وتتعذب.

في حلمها جاءت كلمات لها ظلال

لتقول:

الهراء الذي ترسله لنا الكلمات، لم يعد يشبعنا.

هذه

صرختها المنتصرة.


الأمر مثل معاهدة سلام بين الشكل و
الطرف القوي يفرض شروطه

(7)

خائفاً من العتمة والعاصفة، يسمع صوت الرعد ويتذكّر الذئب الذي يعوي في لمعة الفجر (الذئب الذي ظهر في الحلم وتحوّل إلى حقيقة)، أراد أن يقول للصوت الذي يخبو ويتحوّل إلى أصداء: -

-لا عواء أيّها الذئب، لا عواء

كان ذئباً يقلّد البشر، عوى مرة أو مرتين، بعدها لجأ إلى العقاقير التي تساعده على النسيان.

-لا عواء أيها الذئب، لا عواء

حاول أن يدنو من الذئب، يلاطفه، يتعرف إليه، يستعير نظرته وقسوته، يستعير حنجرته الحارة، الحارقة، وربما اللاهبة.

لم يكن في حنجرة الذئب عواء، بل كلمة تشبه العواء، كلمة دخلت حنجرة الذئب منذ أمد بعيد، حين كانت هناك أشياء مثل الأرواح، حين كانت هناك غابات وأنهار وأسلاف وآفاق غير مطروقة.

لا عجب

لا عواء

لم تكن الكلمة كلمة، كانت ألواناً ورموزاً وخربشات، خرجت خطوة، خطوة من حنجرة الذئب، لتتحوّل إلى بحيرة صغيرة من المياه العذبة، صغيرة، لكنها، أعمق من موعظة الدعاة.

الآن، أذهب أيها الذئب،

لا عواء

لا عواء، أتفهم أيّها الذئب؟


النسيان
يحتاج إلى المزيد +

(8)

تدخل إلى صيدلية الحياة وتقول، ليس هناك ما هو موحش أكثر من صيدلية موحشة!


على رئة القصيدة

(9)

تقول، الكائنات، هي أسمال الله البالية، وتفتح مختبر الذكريات، تطارد أطباء بأردية بيض يبيعون عقاقير الصمت لهذه الكلمات الممدّدة على الأرائك كالمرضى. بأنفاس لاهثة، تدخل ممرضة، يدخل راهب يصرخ ويدخل ملاك، لا يريد القول: إن الله لم يبدأ (إلى الآن) بإعمار هذا الكوكب.

لا يريد أن يقلّل من شأنه

لا يريد أن يتحدث عن سذاجته بإدارة هذا العالم

أو رسمه لحياتنا بهذا الشكل المضحك

أو بعقابنا بالبقاء أطول مدّة إلى صدر الأم (بخلاف الحيوانات الأُخَر)

أو رمينا إلى هذا العالم المملوء بالمخاطر

بلا حماية

بلا حضانة

لا، لا يريد الدخول في هذه الأساطير العتيقة.

كل ما يريده أن ينزع مرض المرضى
يحمله إلى تلك المجرّات التي يستحيل بلوغها
بعيدًا عنا، نحن القاطنون في مهب العاصفة
في هذه الحياة الباطلة
في شاطئ الأمل.



(10)

عائداً من تجربة الموت، موشحاً بالسواد كظل يمتزج بظلال أسطورية، تقول، الله الذي يستخدمه الناس كصدرية لحماية ألاعيبهم، يقرّر – من دون سابق إنذار – الانسحاب من كتب العقائد والأديان والتوجّه إلى أول كلمة جاءت في البدء. لكن أول كلمة ضجرت من هذا الكون المرقّع كبدلة مهرّج، سئمت هذه الروايات، سئمت الدخول كلّ يوم إلى معابد الورق، سئمت خديعة القواميس وانتزاع روحها، أحلامها وأجراسها. سئمت صناعة الإيمان وكلّ هذا اللمعان الزائف لكلمات التوبة.

تريد العودة إلى صمتها السرمدي

حيث لا يبلغها الزمن ولا البشر

إلى الأجرام الغامضة البعيدة

وكنوز أحجارها المكتوبة بإملاء من الضوء.

أيها الضوء، يا تجلي الأرباب
دع هذا الحجر يضيء
دعه يلمع
ودعنا نتأمل سعادته الغابرة
عندما كان الحجر يعلو في الأقاصي
كأول إله يعبده الإنسان.


الكون المرقّع

(11)

ماذا يريد الصيدلاني الساهر على رئة القصيدة؟

ماذا يريد الحالم الذي يظهر في الحلم؟

يريد القليل

القليل المتاح لنا

لنخرج من مكيدة الحياة معدومة الجدوى، يريد البذرة الذهبية مزوّدة بفضيلة الأمل الذي يصوننا، يريد أن يقوم بهذه المهمّة الشاقة لاكتشاف الذات، يريد السعادة الأبدية التي لا يمكن أخذها على محمل الجد، يريد العلاج بموعظة الجلال القادم من المعرفة، ولا يريد أن يكون بائعاً متجولاً لعلاجات شعبية.

يريد بركة المخلص الذي يعرف نداء الداخل

يريد العيش الأكثر قساوة للزاهد المتجول.

ليدرك أنّ محبّة الآخر ليست رياضة سهلة.

يريد أن يسترجع ما هو منسي فينا
يريد أن يتبع اللهب الذي يقودنا إلى الأبدية
لا يريد هذا العالم الذي يجري بسرعة نحو الحريق.

يريد أن يصغي إلى الصوت السري البعيد
إلى صفير القطارات النائية، ويتبع المغامرة
في الحقول المحفوفة بالمخاطر
في الينابيع التي نولد من مياهها النقية.

لا يريد صيدلية الحياة المشيّدة من قبل الإله والمعبّرة عن وجهة نظره.
يريد القول، ما تفعله الأمراض صحيح تماماً
فلن تكون المِعى قادرة على هضم كلّ هذا (العلف) من العقائد.

لا يريد هذا الإله الغائب
يريد أن يعود صوت الإله ليتحدّث بطريقة فوريّة إلى البشر.

يريد الأرواح تحرس الغابة، يريد القصيدة اتجاه الشمعة

تفكر بالشعراء الذين يحتاجون إلى العقاقير.

يريد أن يجمد هذا الموت بداخله، يدفنه كمن يداعب مهابة صوفية مرهونة بفيض من الكرامات.

لا بأس، أن يزوره أحياناً

كسائح يزور أثاراً قديمة

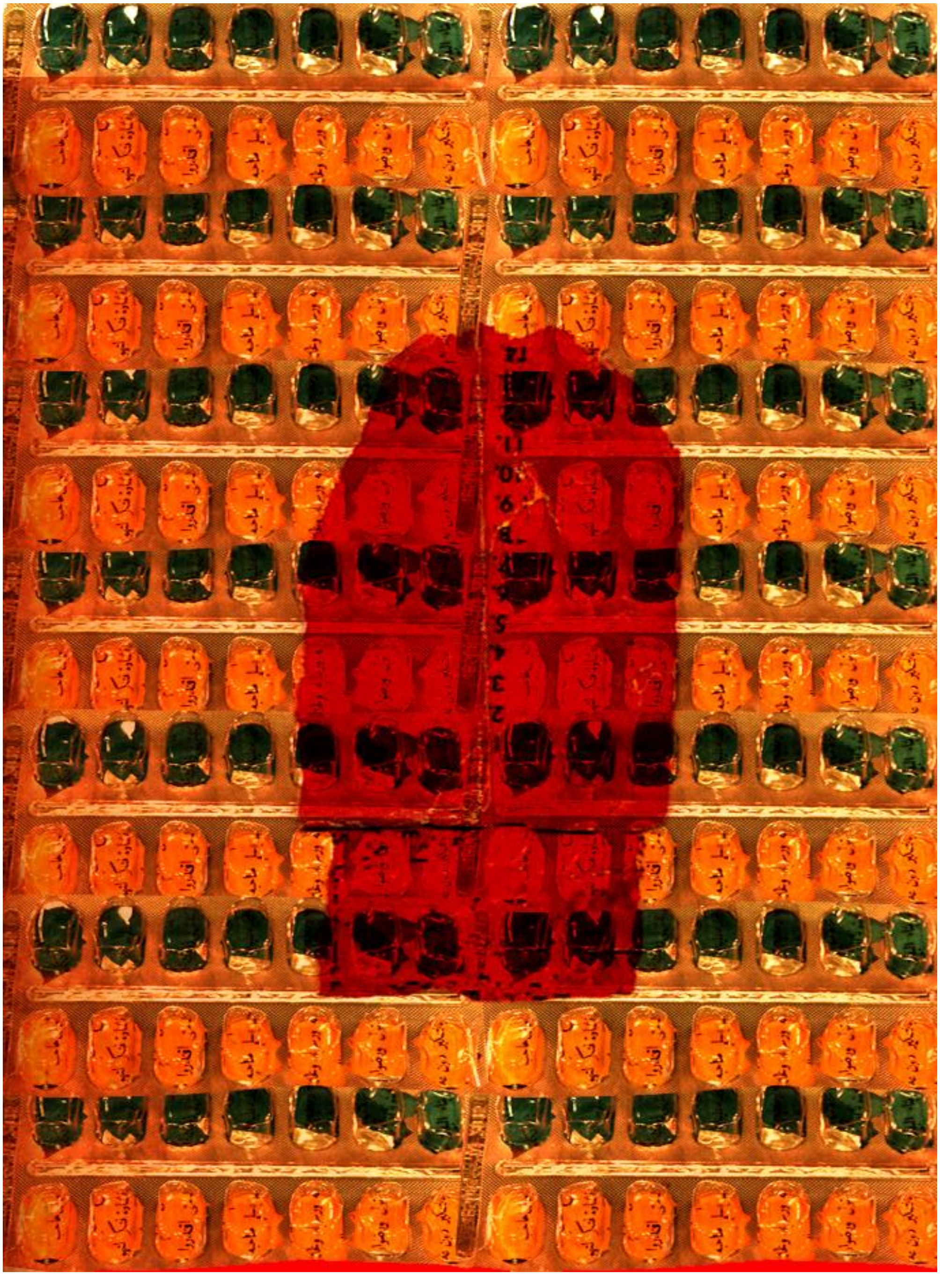
ويلتقط صورة فوتوغرافية لسياجه المهدّم.

يريد أن يتذكّر الأغاني الرائعة للغربة

ولا يعود إلى أرض الوطن

يريد أن يكتب عنه

(مات في المنفى).



(12)

تأمل ظلّه، وأراد أن يدخل في انعكاسه

كان نفسه يجري في الاتجاه المعكوس، يمضي في اتجاه وحيد، لا يلتفت إلى أحد، لم يشعر بترنحات اللهب في الظل، نسي الزمن وماتت عنده الأبعاد. أراد الوصول إلى الضوء المتبقي في داخله، أراد أن يجتمع بروحه، هناك، في عمق الشق الذي يتسع إلى ما لا نهاية، الشق الذي حفرته العزلة باليدين.

كان يبحث عن عمقهِ ويشكّ بالضوء.

لم يجد غير حلكة يرسمها الشق كمجاز

لم يجد غير هوّة في الدرب الوحيد،

لم يجد الذات التي كانت تشعّ بالطاقة،

تذكّر حياته كشريط فيلم يعرض بشكل معكوس، لا يسترجع الذكرى بل فظاظتها.

أراد الوصول إلى العمق، لكنه، وصل إلى العتمة
وبعناد كبير تشبّث بحياة يصبغها الندم.
تلاشى الأثر
انتهى الطريق
ولم يعثر على منابع النور.

هذا الغرام بالغوص نحو الحافة
نحو وميض شاحب، راكد في قعر الحواس
نحو بئر أو متاهة
يغير شكل الجسد، يعيده إلى جنين
يرتجف
ويموت.

الحداد الذي تسرّب من كل الإتجاهات

لم يكن على عجلة من أمره

كان ينتظر سهم الزمن الكوني

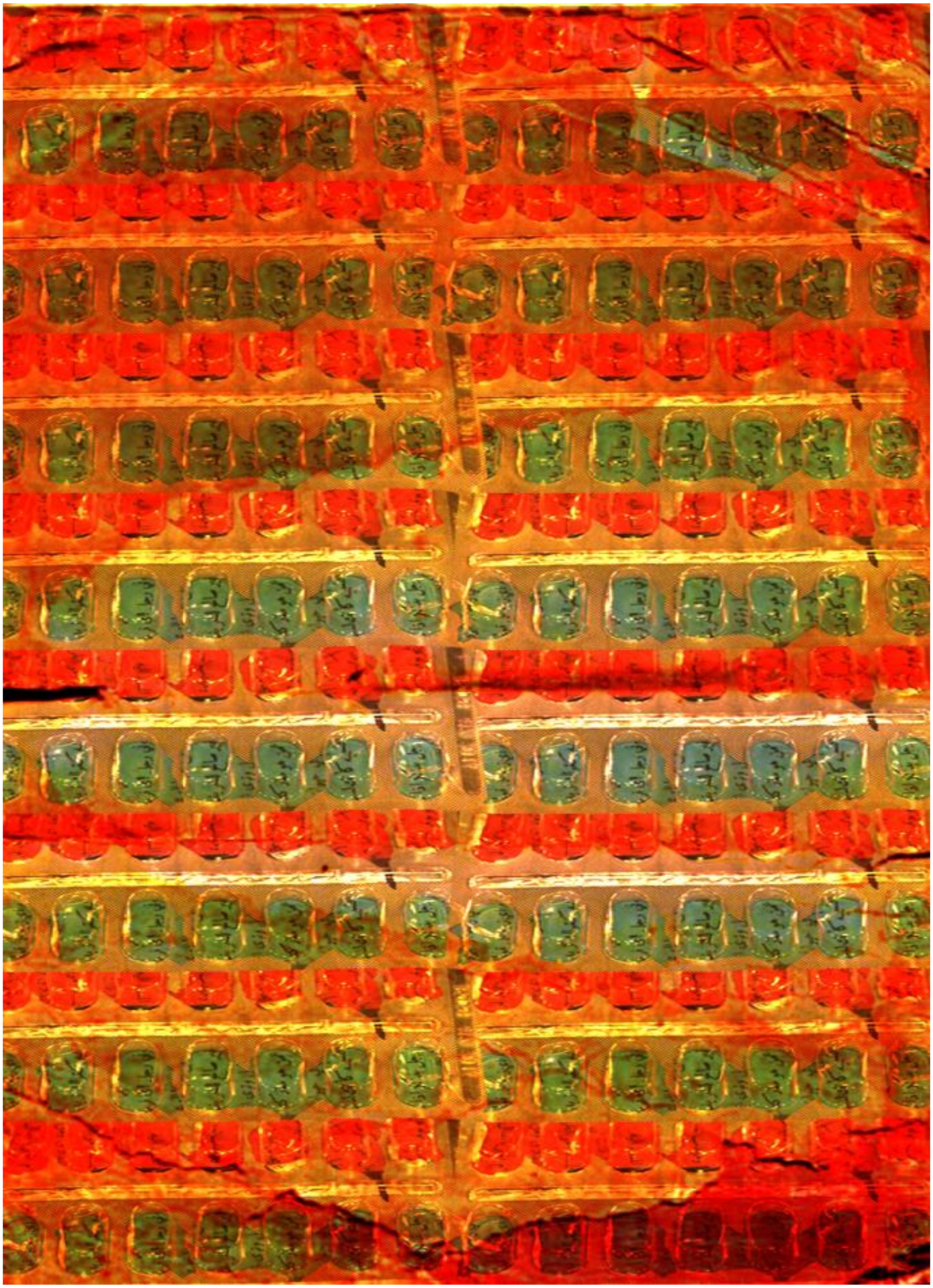
لينشر ظلاله كآثار موت متلاشٍ.

تأمّل ظلّه، وأراد أن يدخل في انعكاسه

ظلّه الذي يلاحقه كممثل صامت

ينتقل عاريًا على خشبة الحياة

ليعانق غيمة السواد المطلق.



(13)

إلى أين ذاهب؟

هذا الذي يرتدي مريلة المرضى؟

ذاهب ليشرب النخب الأخير بصحة الحياة

ذاهب ليأخذ قسطًا من الراحة في حديقة الأرواح

ذاهب إلى العدالة التي لم تكن يقظة لتنتقم لخساراتنا.

إلى أين ذاهب؟

هذا الذي ينظر كميت؟

ذاهب ليحدّق إلى هذا الكون العجيب

ذاهب في رحلة لاكتشاف النسيان

ذاهب ليكرّس جلّ وقته، من أجل مهمة نبيلة واحدة، وهي الكسل.

إلى أين ذاهب؟

هذا الخيال الذي يشبه وجهاً بلا حياة؟

ذاهب لإغراء الملاك بمقايضة الموت بهاتف جوال

ذاهب ليدرب نفسه على الانتظار وليس الخمول

ذاهب لينطق آخر (آمين) في الايمان.

إلى أين ذاهب؟

هذا الذي يريد أن يكون الحجر أخف من الورد؟

ذاهب لعيش حياة الأشباح

ذاهب إلى حياة بلا عقاقير

ذاهب إلى أمكنة نائية

حيث لا يوجد إلّا السديم والضباب

إلى أرض جديدة

مجهولة

ورائعة.



(14)

الموتى الذين رافقوه في الممرّات، أخذوا الألم ورموه كدرهم لسعادة الأموات. أمّا هو المتألم، المرتجف، الصامت، فظلّ هنا، ليطفئ الأنوار، ويدخل هذه الغرفة المعتمة، يستلقي على قفاه كما لو أنه كان نائماً طوال الليل، ينام ويحلم كحالم يبحث عن حلمه.

الموتى يروحون ويجيئون وهو يتقيّأ الكوابيس، يتقيّأ الكائنات والأنفاق والألم والخيبة.

رأى حجّة الرب الخادعة أن لا أحد يتدخل في مشيئته.

رأى الذاكرة تضيق بكل هذه الذكريات.

رأى أنه استبدل الخراب بالمنفى.

رأى أن لا أحد ينتظره في وطنه، أهله صاروا مهجرين، وبيته يسكنه الآن شخص آخر.

رأى أنه يتخلّص من أسوأ معوقاته

(الحياة).



(15)

كئيبة المناطق السرية التي تجذبنا،
يأسها بلا عون، وحزنها متسامح.

كئيبة النغمة الأخيرة التي لم يبق غيرها لتأبين الموت.
كئيبة ثمرة الآلام الكامنة في أرواحنا،
كئيبة ظلال النوافذ وشاحبة كشبح في مأدبة.

الهواجس المنحوتة كوجوه، هي
اليأس الذي يغري بالذهاب إلى العتمة، هي
الحداد الذي فقد صبره، هي وانتقامه الدائم.

الذي جرّب الكابوس، يعرف هذا.



(16)

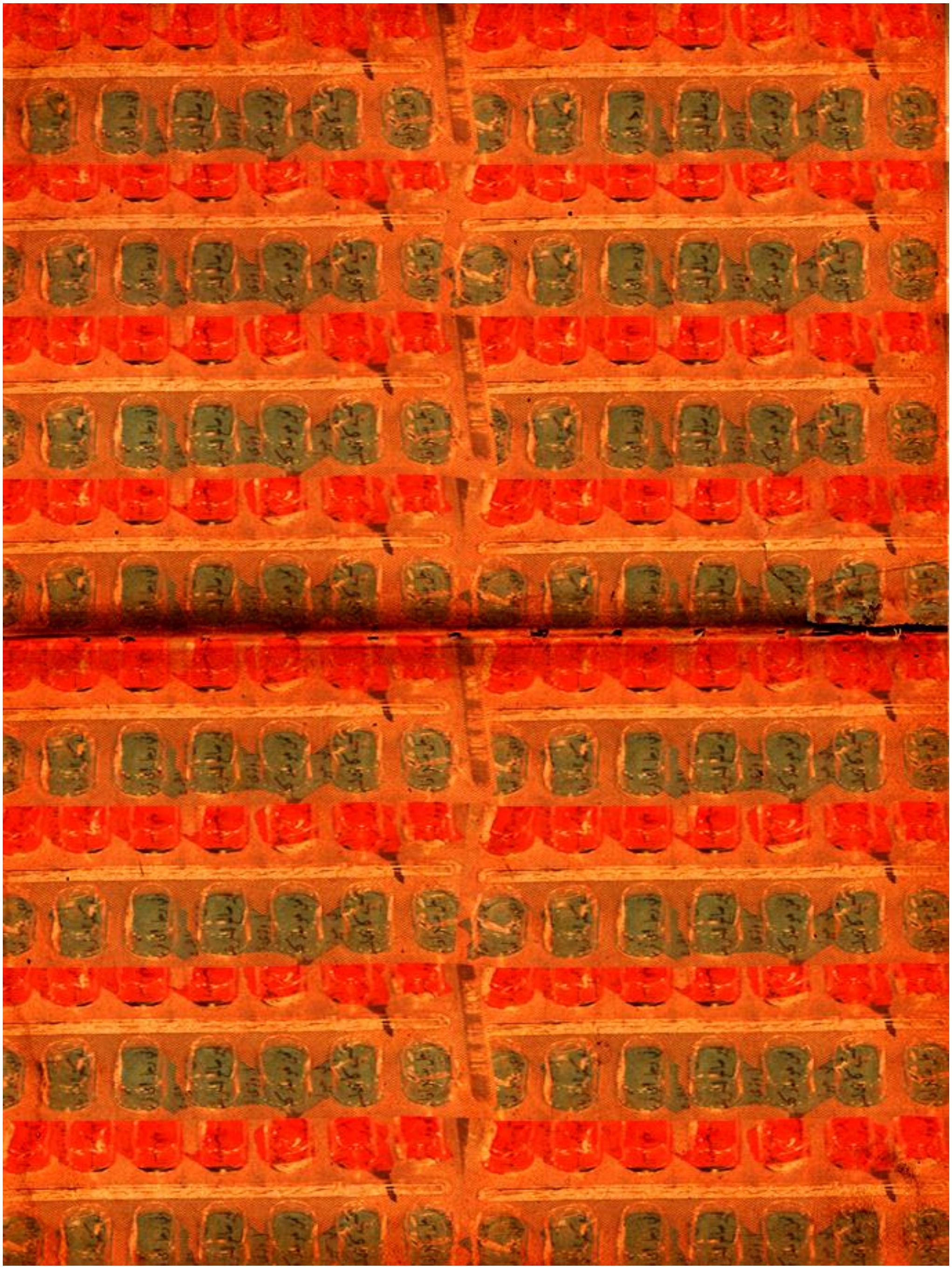
لا أثق بغموض الآلهة

بعد أن سحب الربّ طاس خمره بعيداً عنا

ولا أثق بالروح أيضاً

هذه القشرة الآخذة في الجفاف

بعد أن صادرت الأديان رغبتنا في الانتحار.



(17)

في كلّ ثالوث

هناك

شاهد

شهيد

وابن آوى.



(18)

رجل يقف خلف النافذة

رجل وحيد

نظراته تريد أن تقول: أردت فقط أن أقف هنا، أجرّب النظر من الأعلى، من هذه النافذة المفتوحة التي فتحت النوافذ على خيال مفعم بالشيخوخة والمرض. كان يفكر بالزرافات التي تطلّ من عليائها، بهلع المرضى حين تقبض عليهم قبضة الموت الجبّارة، وجبروت الآلهة التي افسدناها بالصلوات والقرابين.

سمع صوت الموت، وها هو يشمّ عطر العاصفة، يغمض عينيه ويقول: هذا الموت لا يريد استدرار العطف، يريد أن يبقى واقفا على رجليه حتى النهاية.

تذكّر أنّه يقف وحيداً خلف النافذة، يراقب هذا الشتاء الطويل، يراقب النظرة المربوطة بالثلج، يراقب النعاس المستند إلى الطاولة، يراقب ملائكة ينامون بلا أسرّة ومريضاً يصرخ:

قدر ما يجرؤ البشر

سأسخر من جلال الآلهة.

يراقب الآلهة التي تنتظر منا – دائماً – أن نعدّ ظهور علامة منها على أنه آية، ويراقب وردة القربان المنثورة في مياه البحيرة. البحيرة التي تدعوه للغرق فيها، في جوهرها، في أعماقها البعيدة، وفي ذهب المياه الوهمية للخيال وهي تغري حتى الله بالسباحة فيها.

كان يراقب ويفكّر، هذه البحيرة لا تصلح لشيء، ليست بلاداً، مجرّد بحيرة ذكرياتها باردة، وأمواجها مروّعة ومنتفخة بالنفايات، تبصق موتى وساحلها وحيد.

كانت شبحاً، جاء ليوقظ هذا المسافر الواقف خلف النافذة، يراقب بحيرة تشبه المصير، تشبه الأمل والرغبات والأحلام.

وكانت تطير

تائهة في مسارات المصائر

لا تريد الإقامة في تخوم هذا العالم

هائمة في الغنى الباهر للتيه

مفتونة بالينابيع وتأسر لُبَّها الشلالات

هاربة

حرّة

ومجنونة.



(19)

يقف عند بحيرة النهار، ربما لا يعرف أنّه يقف قرب البحيرة. البحيرة العميقة التي ظلّ سنوات يحلم بالغرق في مياهها السرمديّة، البحيرة غير المرئية المنبثقة من أعماقه السحيقة.

تذكّر الفردوس الذي اخترعناه لننتقم من بؤس الحياة.

تذكّر الأشتية الطويلة المظلمة والقارئ المنفي في أرض الخيال.

تذكّر صديقه الشاعر الذي غرق في صمت يشبه الداء أو الخواء، وكان يقول: الشعر إيمان بالعزلة.

تذكّر أنّه يقف وحيداً في أرض الصمت

تذكّر الحلم الذي غادره إلى عالم الموتى.

تذكّر الانجذاب الساحر نحو العدم، وردّد مع نفسه:

العدم بحيرة عميقة يمكن الغرق فيها أيضاً.

تذكّر الأحجار عندما رماها في البحيرة، ولم يتذكّر البحيرة.

أحجار اللايقين

الأحجار التي تراه وهو يقذفها

الأحجار التي تذكّرنا بأرواح أسمى منا.

الأحجار التي رماها في قلب الحياة أو خلف التلال.

الأحجار التي حرّكت الموج،

الموج المسافر عبر الاسرار الغارقة

والمياه المجهولة.


أنت الساهر على روحك الميتة

(20)

ما أشدّ كآبته، وحيد هو هنا، ويده مملوءة بقطرات المطر.

وحيد، في هذا الفجر المشغول بمراوغته المفرطة، يحصي الأموات الذين يسيرون كالأشباح من خلال الجدران، وينتظره صمت مكسور.

يكتب، ثمة زمن، لكنه، ينام في الردهة

وحده العدم

يحرّر الغيب من أوهامه.

يكتب، لا أريد الإله أن يلفّ العالم بمعطف عتيق من النسيان.

أريد أن تظلّ النافذة مفتوحة على هذه الحياة المصنوعة بشكل مفزع ورديء.

مصنوعة على عجل

بلا إلهام

الموت يلمع في عتمتها وسريرها يشبه الضريح.

لا يكفي الانتقام من الكاهن الذي يحتكر الخلاص

حين تستيقظ تلك الروح الكامنة فينا، نحن المرضى.

وحيد هو الآن،

يجرح نفسه ويقطر الدم فوق الكلمات

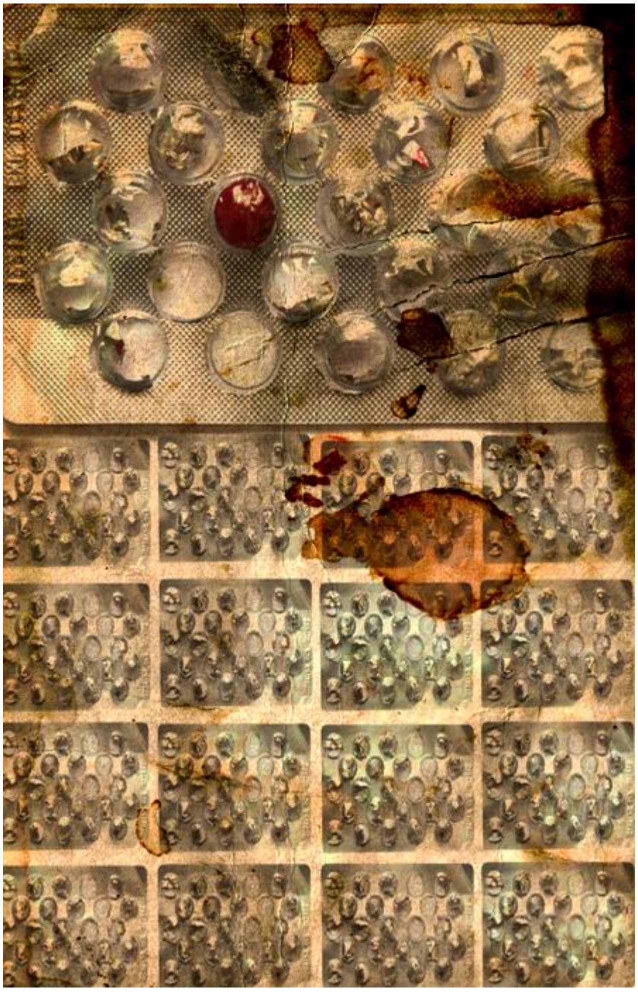
يكتب: الموت يعلم جيداً أنّه يعيش في حدود آمنة

وحدها الحياة، تقفز إلى الهاوية.


أن يتحول العالم
أمن اللائق
إلى صيدلية
إلى
سعال
يؤرق
نعاس
حياتنا

(21)

كم هي مملّة مهنة الخالق، حبّة دواء من أجل الأبدية.



(22)

ماذا يريد هذا الذي تسكن روحه الأنهار ويعشق طريق الغابة.



يريد تمجيد النوم والسكون واللاجدوى

يريد الخلاص من دون أيّة منَّةٍ إلهية

يريد أن يصرخ أنّ تجلّيات الملائكة، أكاذيب كلّها.

لا يريد أن يجثو ويعبد عجلاً ذهبياً

لا يريد بوابات القدر المجهولة ولا هذه المصائر المعلّقة بالغيوم من خيوط دخانها.

لا يريد ميثاق العهد ولا التوبة، لا البركة ولا اللعنة.

يريد سلالة الآلهة، السلالة الرفيعة المقام

أن تسجد قدّام الإنسان.

وأنتَ أيّها الشكّاك، يا شريكي

الوحيد

السارح

المتعطّش مثلي لشيء تؤمن به

تناول حبّة دواء قبل أن تنتقل إلى الصفحة التالية.


تجليات الملائكة
أكاذيب كلها

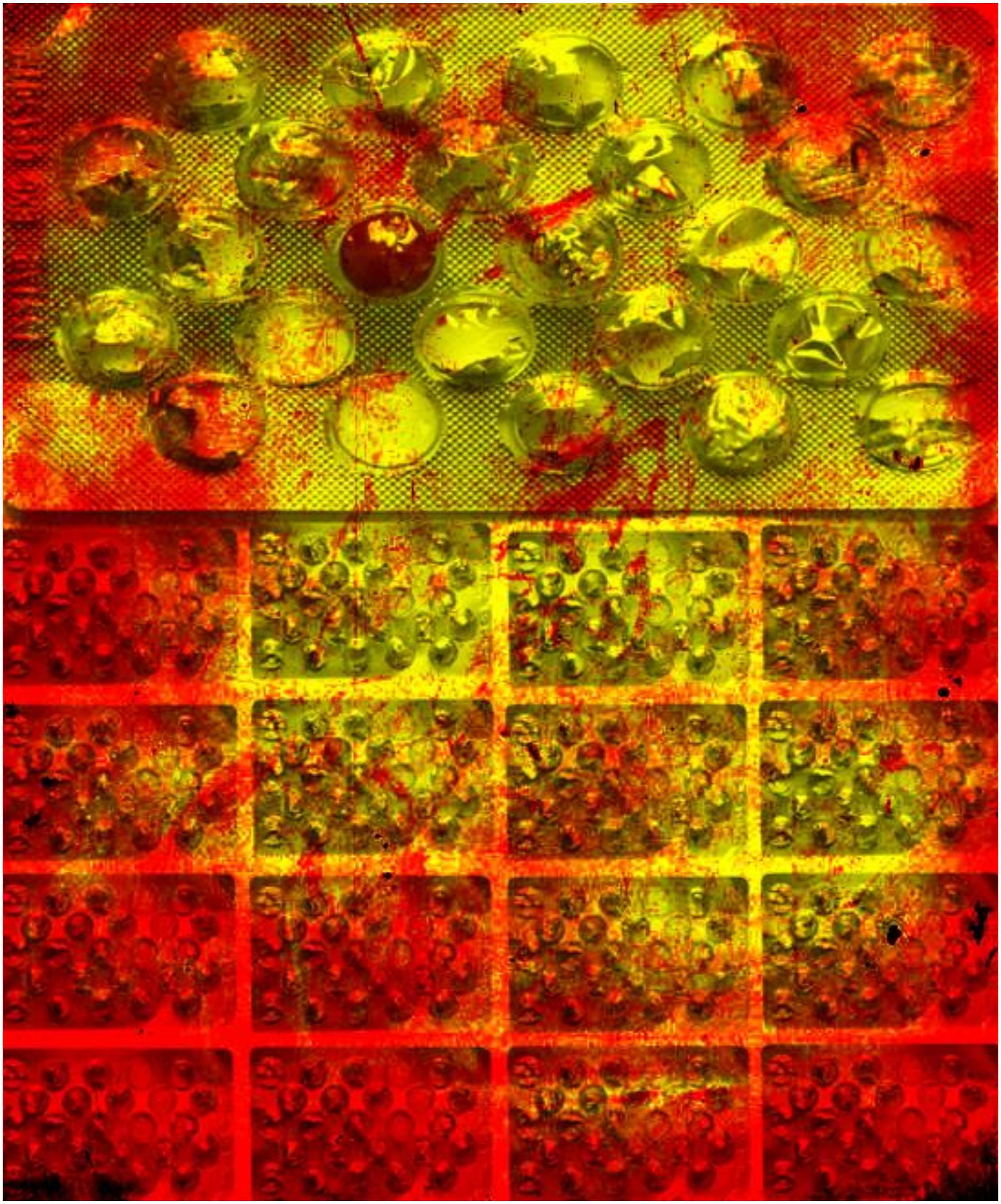
(23)

في العالم الآخر

تظهر صورتي مرمية في أحد الحقول

وبالقرب من خيط الدم الذي يسيل من عنقي

يظهر حذاء الرب الثقيل.



(24)

ثمّة عقاقير، ثمّة صمت، وثمّة شاعر يتناول العقاقير، ثمّة كلمات محوطة بالمرضى، هي ليست كلمات، إنّها خدعة الملاك الواقف بين الظلال الخادعة التي حوّلت العقاقير إلى كلمات، ثمّة شاعر يقف قبالة الشمعة ويغرق في الصمت، يترك عقاقير الكلمات تتحدّث عنه، يقف ويتذكّر، ردهة تشبه منفى يرافقنا مدى الحياة، يقف ويتذكّر، بيده حقيبة عتيقة وعلى لسانه ألم من لا يجد عقاقير الشفاء. يقف ويفكّر في ملاك أعرج يسير وبيده مظلّة سوداء، يفكّر في الذكريات التي تدخل الردهة مدفوعة بعاهات خفية، يفكّر، كتابة الكون هو الأمر الوحيد الذي نشارك به الخالق.

يفكّر ويسأل

مُذ بلبل اللّه الألسن ونحن نعاني هذه الفوضى اللغوية الشاملة، متى نتخلّص من هذه البلبلة البابلية ونتحدّث لغة واحدة.

يفكّر ويقول

كلماتي، تستحق ميته في النهر

ميته بلا ضجيج

هناك، في قارات خُضر

في الصمت

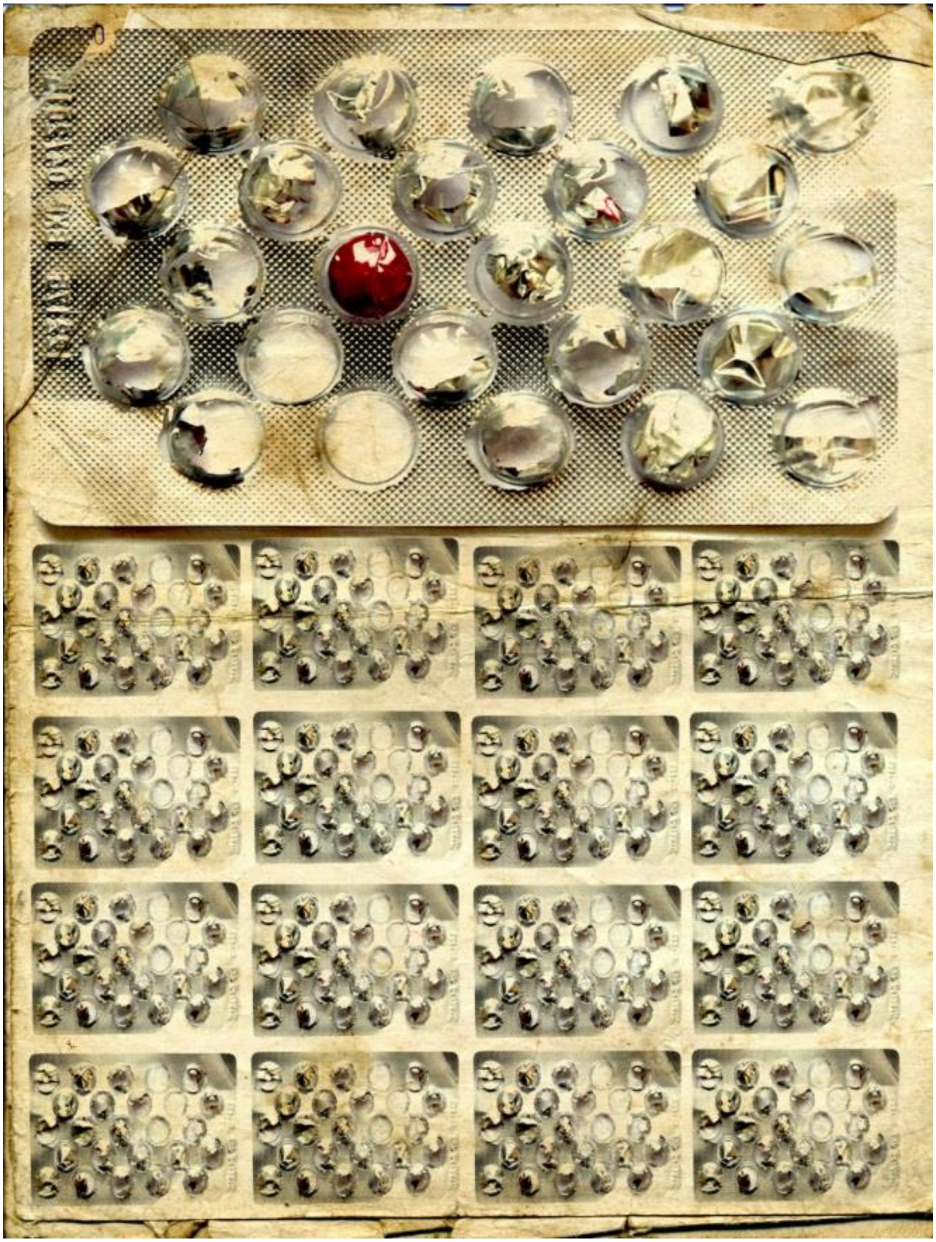
بلا تعب

بلا وجع الكتابة

وبعيداً، عن هذا العالم الذي كان وسوف يظلّ هشاً على الدوام.

كلماتي تستحق ميته في النهر

وليس هذه المقبرة الجماعية.



(25)

يتناول العقاقير

لأنّ الأيمان فكرة مرعبة،

لأنّ العقائد أصبحت منتهية المفعول،

لأنّ الطبيب قاتل مكبوت.

يتناولها، ليسمع هدير العاصفة، ويشمّ وردة الشقاء المنثورة على النار، ليحتفل بالثلج، بالشراشف البيض، بنمور أحلام اليقظة عندما تقفز وسط حلقات عجزنا.

يتناول العقاقير

لأنّه يريد أن يمسك بروح الكلمة، بحريقها بغبارها، بقلبها المتوحّش الرائع، يريد منها الحلم، الأمل، والشك الذي يتلوى في الردهات، يريدها أن تبرق بألوان الأصباغ والرسوم كقرصان بساق خشبية.

(صورة، بهذا المعنى).

يتناولها، لأنه يريد القول: في مخيلة الشاعر، ثمّة ردهة هائلة للصمت.

يتناول العقاقير

لأنّه سمع صوت الطائر يعلن موت شخص في الجوار،

لأنّه لا يريد أن يقرأ أسى الأمهات على شواهد القبور،

لأنه يريد القول: لا خلق، وكل شيء كان موجوداً على الدوام،

لا عدم إذ لم ندركه، لا ألغاز إذ لم نفكّر بها.

يتناولها، لأنّه لا يريد أن يتوسّل الخلاص.

يتناول العقاقير

كعائد من تقديم القرابين، كمن يخرج من مدفن في الأرض حاملاً فأس القربان الثقيلة ليقطع رأس الأفعى التي تحرس باب الحكمة، ويصرخ بالإله:

كنت حقوداً أيّها الأب

ولن أطلب المغفرة على صراحتي

لكنك، كنت بارعاً في خلق الهراء.



(26)

هو الذي يخشى مواجهة العدم

يريد أن يكتب كلمة، كلمة ليس غير

لكنه، يحتاج إلى جرعة قوية من الآخرة.

كلمة تفضي إلى الشفاء، تشبه الأمل، تشبه حياة مألوفة، تشبه الأيام التي سبقت ظهور الكلمات.

كلمة لم تأتِ إلى هذا العالم من قبل

لم يلمسها رب ولا إنسان

لا تعرف الكواكب ولم ترَ الأزهار

لا تعرف الكلمات ولا الذكريات ولا الأقدار

لا تعرف اللهب والاحتراق

لا، لا تعرف هذه الأقنعة.

في حبرها، كسرة من خبز القدّاس

في حروفها، النظرة الحزينة التي تطلّ من عين الملاك

وصوتها الذي لا يقول المعنى بل مجازه

يقف بجوار المجرة

ويلوّح لنا.

تصل متى تشاء

فهي لا تعرف الليل أو النهار

وحدها تسترخي في كرسي النعمة اللامرئية

مثل إله يعرف البقاء بمفرده.

لا إسم لها

وتكاد أن تكون عدماً

وهو الذي يخشى مواجهة العدم

يريد أن يكتب هذه الكلمة، (لماذا يريدها)؟

يريد أن يكتب جوهرها وروحها

لكنّها، لا تريد أن تكون في كتاب

إنّها، تحضر مثل حزمة ضوء سحرية

وتهمس: -

أطيافي القادرة على الأكثار من نفسها

هذا كل ما يمكن أن أهبك إياه.



(27)

يريد أن يعالج أمراضه بعقاقير مصنوعة من مسحوق أوراق كتب مقدّسة.

لا يريد هذه الفكاهة من القدر، موسيقى حالمة وموت قبيح

لا يريد هذه الفضيلة في الألم ولا هذا الحضور المتخيل للإله

ولا تصديق الخرافات الأكثر شططًا

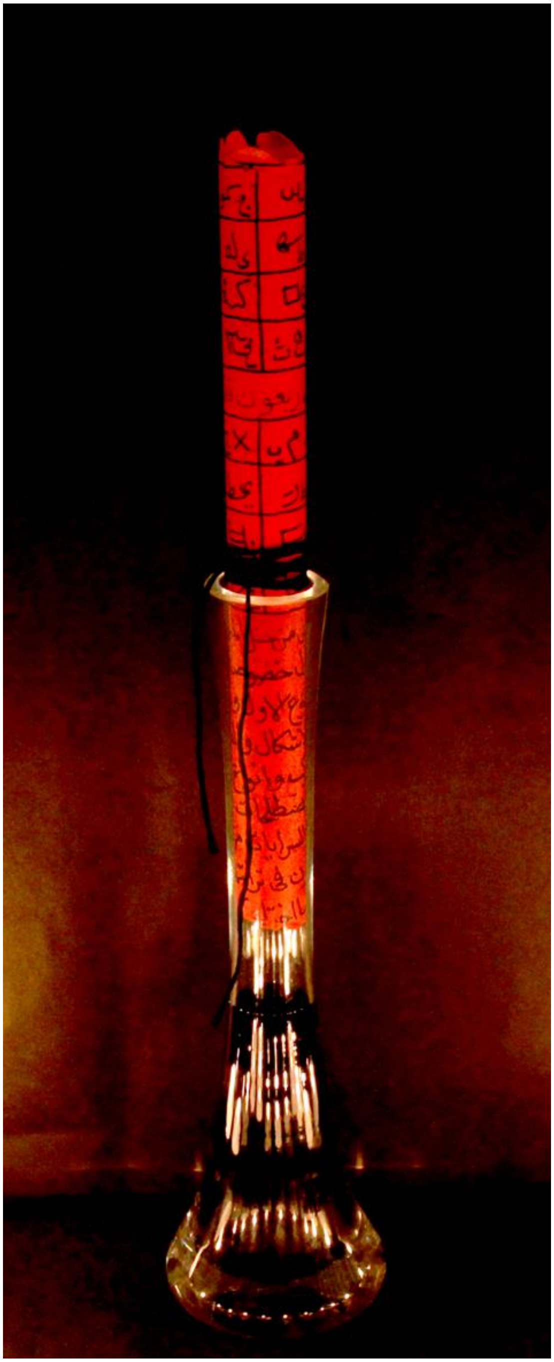
لا يريد إغفاءة الملاك في مرآة مكسورة

ولا الدليل على أن الملائكة لا تزال على قيد الحياة

يريد أن يسمع صوت الصيدلاني عندما يصرخ: -

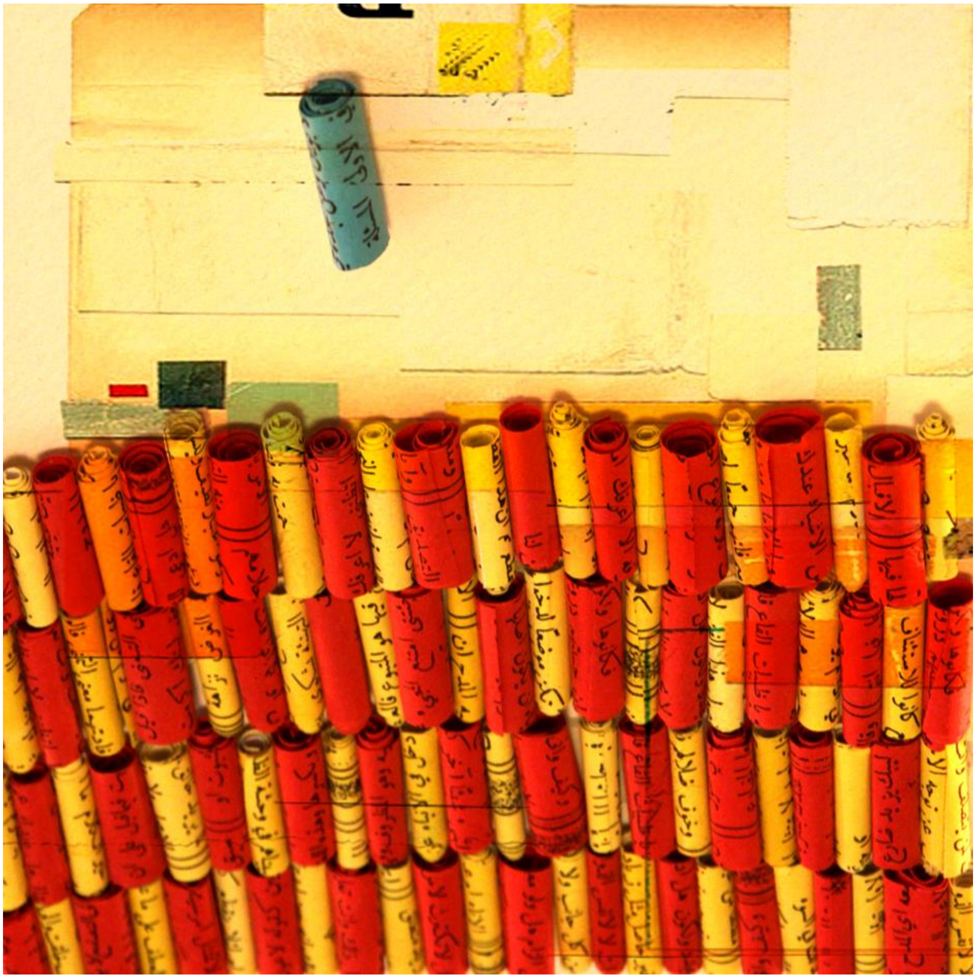
الشعر: انتصارنا على اليأس

نحن الذين نفتقد إلى عون السماء.



(28)

الشاعر: صانع عقاقير.



(29)

يصحو على عقاقير تشبه عثة عملاقة

يتناولها حتى لا يغرق في قلب البحيرة

لا يضيع في الطريق إلى الغابة

ولا يعد الهلاوس كشوفات روحية .

الرسل الخاطفون الذين جاءوا من السماء

أحلامهم شحيحة وأطيافهم شاحبة

سكنوا القصور وتخلوا عن الجبال

لم يسمع أصواتهم

لم يرَ كشوفاتهم

خطفوا منه اليقظة، وهبوه هلوسة الإيمان

أوصوا له بالعدم

ولم يخبروه أن الحقيقة خيال محض.

إستعانته بالصوم والحرمان الطويل جعلته يلتقي الإله
غيبوبته العميقة جعلته يقطف الثمار من الجبال التي سكنها المُخَلّصون.
الآلهة التي احتلت أسمى المراتب لم ترعَ مصيره
واشتركت معه في صراع بشري
الملائكة التي لا تحب التأمل ولا الترانيم كانت تغش،
حبة الدواء تغش،
كأس الماء يغش،
اليد تغش،
الطاولة تغش والألم
يحبسه في حنانه الخانق.

هو لا يريد أن يغشّ القصيدة بالهلوسة
إنه نافد الصبر إزاء الثرثرة، وكثيراً ما ينسى الكلمات
كما ينسى أحلامه، أحلامه التي تبتلعها العقاقير.

لم يعد له غير عظام مسحوقة

ملفوفة

بشراشف بيض.



(30)

يقول: القصيدة صيدلية أوهام.

ويغرق بتأمل امرأة متكئة على شجرة، إنّها ناجية من العاصفة التي هبّت من بداية الخلق وكشفت تاريخاً آخر للعالم.

يقول الأغصان هنا تشبه وجهاً مبتسماً، يدعونا للعبور من ممالك الحياة إلى الأزمنة الأبويّة التي تهمس في آذاننا: الرب الذي يجهل المغامرة البشرية، وكان يغطّ في كسله المعتاد، لم يفهم جسارة حواء، لم يفهم الجاذبية الفائقة لفكرتها الجريئة ولا حركتها النقية الرشيقة. كان يريدهما (آدم وحواء) كأرنبين تجريان أمام عينه الساخرة.

يقول: القصيدة صيدلية أوهام.

ويغرق بتأمل رجل جاف كعظام، إنّه الناجي الوحيد من العاصفة. العاصفة التي هبّت منذ بداية الخلق وكشفت تاريخًا آخر للعالم.

يقول: العقائد تسمّم الروح وتوجع القلب، يتأمل هواجسه المرسومة كاحتضار أليم، يسمع صوته القديم يهمس:

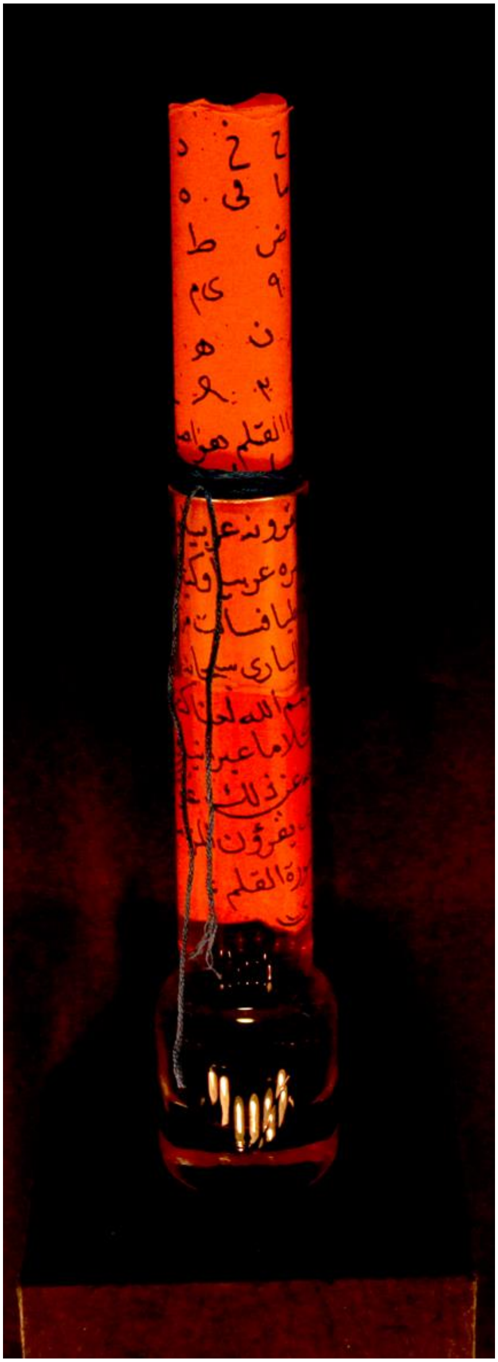
آدم المؤمن بالنقص البشري، كان يذبل أمام مناقشة الربّ.

آدم المتردّد الذي تنقصه الفطنة والشجاعة، لم يفهم الزلزال الذي يزعزع ثقتنا بالسماء، ظلّ خجلاً على الدوام، أراد للغز أن يبقى دون مساس، وانتظر أن تصله الحكمة بالتقطير عبر سنوات ضوئية.

صدق مزاعم الرب وظلّ عارياً في مخبأه
ظلّ يذرف الدموع ويحزن
ظلّ يميل إلى الاستنتاج أنّ يد الرب تصنع كل شيء
وظلّ يرتكب الأخطاء الخطيرة بحق حواء
التي منحتنا أسمى جوائزها.

يقول: الحكاية ما زالت تحتفظ بالكثير من الأسرار

لكن، من أجل قصة الأطفال هذه، بين الحيّة والتفاحة، حوّل الرب حياتنا إلى جحيم.



(31)

في ردهة تشبه مدخنة أو مغارة

تتباطأ الأشباح

يتباطأ السعال

ويتباطأ الموت الذي ينتظر شركاءه

إنّهم من نفس الجلد الذي يخونه

يقدسون الأضحية

ويدعون الإله (بيت الظلام).

على الباب

شبح وملاك يقفان معًا

قبالتهما

بالقرب من حدوة الحصان

تقول الطلاسم المعلقة على الجدار

الشيطان يأخذ قيلولته الآن

ونحن في انتظار الحضور البغيض للشقاء.



(32)

ماذا يريد الصيدلاني الذي يرتل صلواته في منتصف الليل

؟

يريد أن يقول: القصيدة (غيمة في صيدلية) لكنه، لا يريد أن يتحدّث عن الغيوم التي تخرق صمت العقاقير، بل عن الكلمات التي تشبه الغيوم. الكلمات الذاهبة إلى منتجعات سريّة وهي تعلق الأرواح على أكتافها كنايات من قصب، الكلمات الحاضرة كصاحبة جلالة، الغامضة، المرسومة كمتاهة وتلك التي تعبر وتضيع.

يريد غيمها وأمطارها، سرعتها واتجاهها، ألوانها وأعماقها، حريتها وامتدادها، رجوعها وارتفاعها والكثافة التي تزيد من ثقلها.

الكلمات – الغيوم

التي تعزلنا عن الأعالي ولا تتيح لنا رؤية الإله

نحن الذين نمجّد الجفاف والرحيل

نسينا الأنهار في مسيرتنا المضنية
واستبدلنا سماء بأخرى، لأنّ الغيوم كانت بيتنا
وبعد أن انتهى فردوسنا إلى السكون والإهمال
تذكّرنا أن الإله كالوهم
يمكن اختراعه مجدّداً بعد الاستعمال.

لا صراط
الغيوم في رأسك
سيستمر الكابوس لما تبقى لكَ من حياة
والذي يصرخ في داخلك لا ينتمي إليك.

ها هي العارية كقباب بيض، تصل
ها هي المكسوة بارتعاش الرغبة، تصل
ها هي المرتعشة مثل مسرّة، تصل
إلى السفوح التي انتظرت بزوغ لحظة الفجر الثمينة
إلى العاصفة، إلى الشفق، إلى النزيف العتيق المضني.

إلى المعاني التي بلغت مداها وركنت إلى الصمت.

ها هو

اللاعب لعبة الخاسر يربح

يجلس تحت مظلّة سوداء

يتأمل صمت الكلمات

الصمت المعطوب

المحتضر

الذي يدق كجرس مثقل بالغيوم

يتأمله

كما يحدث مع لوحة.



(33)

كلّ ملاك هو لون يمشي

هذا ما يقوله:

الغريب الذي دخل الردهة.

لا ضمادات

الكلمات شقيقة العقاقير والصرع

لا أسرار

حياة بلا حياة

إنها حياة محظوظة فلا يمكن ايذاؤها

هذا ما يقوله:

الأدلاء الذين دخلوا

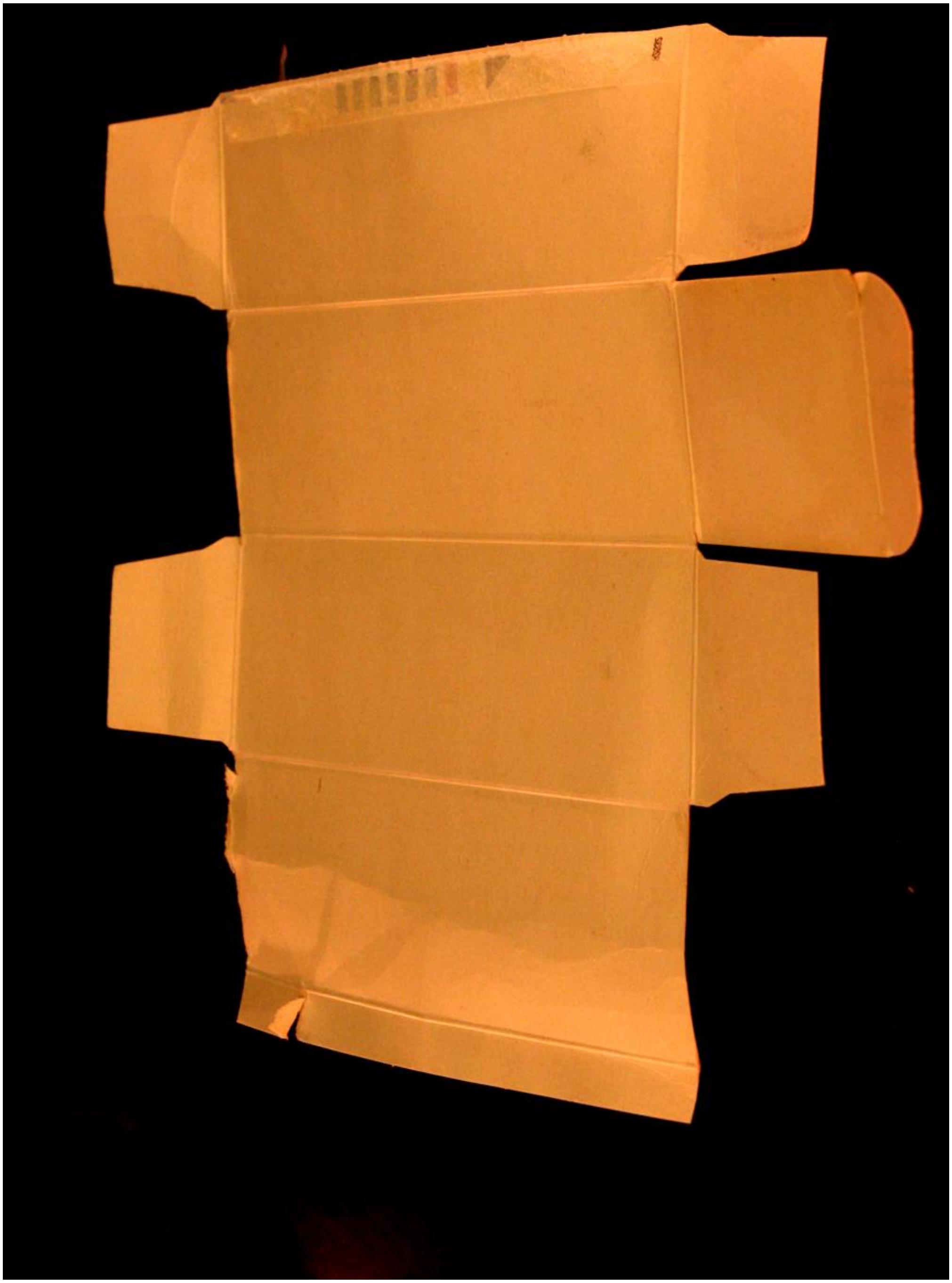
في أثره.



(34)

منفيًا في منفاه، منسيًا في الخسران الذي ينحت أصنامه كآلهة. منفيًا في سأم يحرث حقول النسيان، يحرث الأمراض والجروح والقدر. منفيًا في وحدة طويلة طويلة، في الخواء وزعيق الألم، في الصمت وفي شيخوخة يدخلها كنزيل يتأمل سعال الأيام. منفيًا ككومة عظام في قبر لا أحد يزوره، في الكلمات والرسائل، في خيبة تنضج ولا تهرم، في إيمان دون مطلق، وعدم الإيمان بإله يخدع الفقراء. منفيًا في الحلم بسعادة نادرة، في الليل، في السنوات، في الرحيل. منفيًا كمنفي، ينتظر الملاك الذي يهمس في أذنه: -

-هيا في إمكانك أن تقفز من رحلة الحياة.



(35)

عائداً كأعمى إلى كارثة، يقول: السعال والكحول والمنفى، هذه الصحبة المشتركة، تمرح في الجسد الخرب وتتوخى الحذر من إيماننا الفاتر بالنجاة.

عائداً كخاسر في كلّ معاركه المظفرة، يرسم إشارة تقول: لست سوى أحد الأموات، لا، ليس الموت النازل من السماء، إنه الطائر النازل فوق النظرة القلقة في عيني الألم. أراه يهبط على أحلام الجنود المجهولين المدفونين في قبور دون شواهد. فتتكسر المرآة واجلس في صمت مكسور.

الشبح الجالس قرب مرآة مكسورة

يهمس في أذُنِ العزلة المتأخرة عن حطام الموت: -

الشيطان بحكمته الراسخة

لا يجبرنا على العبادة أو المغفرة

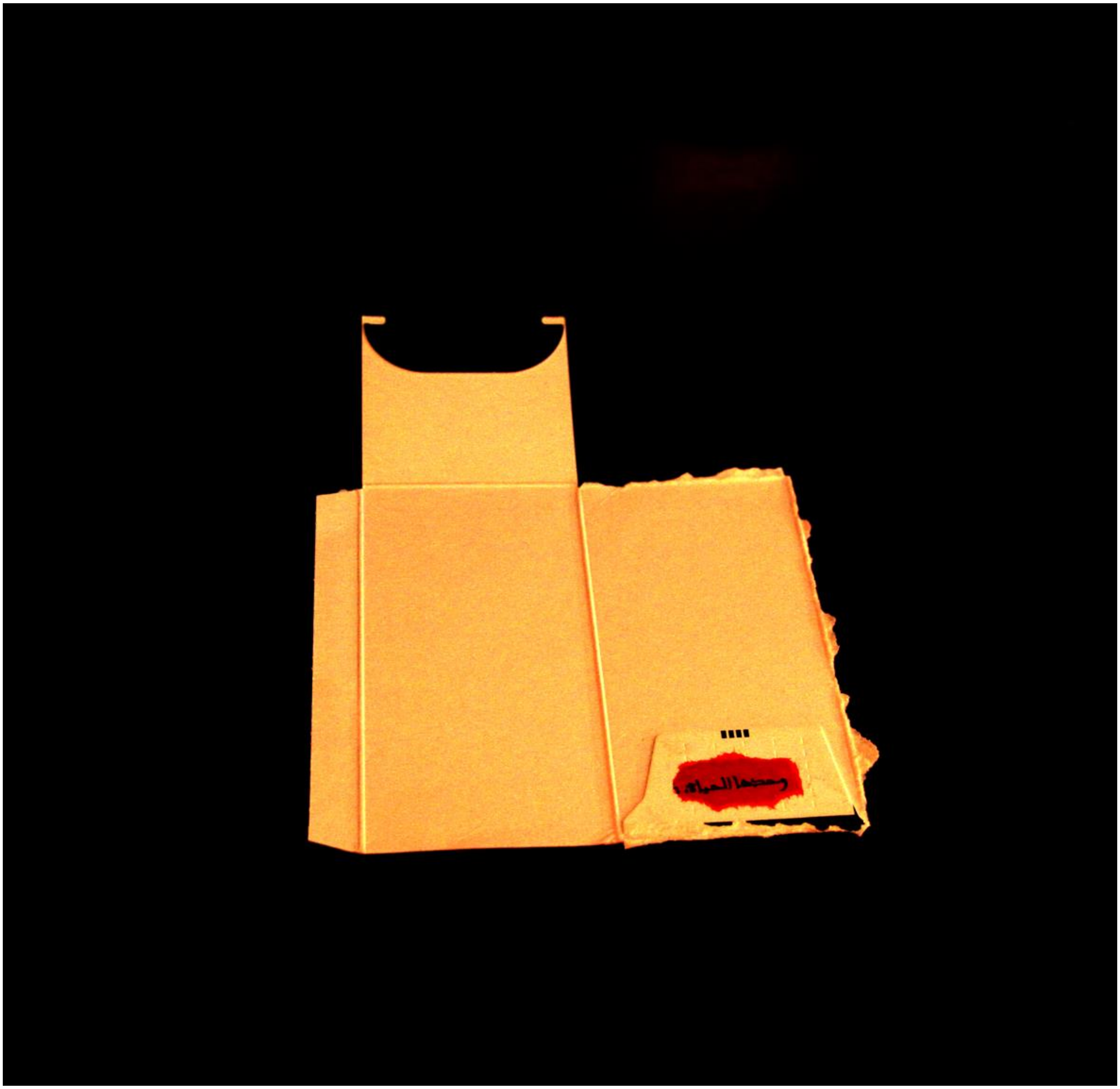
لا يدعونا إلى نعيمه أو طلب الشفاء.

خطيئته المغروسة في قلوبنا

تعطينا الأمل، أن نغسل جروحنا بماء النشوة الغزير

حيث يجري العالم خارج حضوره،

وتأنس الحياة إلى شوط جديد.



وحدها الحياة

(36)

في مشهد مؤلم وبطيء، مات الصيدلاني في القصيدة، مات كغيب لم يجربه أحد ليصبح مكاناً، تماماً، مثل الآخرة، تلك الكلمة التي لا تبعث السرور في النفس، مات بصورة تشبه الغرق في بحر من العقاقير، العقاقير التي لا تريد هذا الألم للكلمات، الكلمات المحفوظة في صيدلية القواميس وهي تنتظر الشعراء المرضى.

مات كمن ملّ من السعي وراء إكسير الحياة.

يطالعه الموت الواقف كنذير دون أن يقدم توضيحاته، ربما، لا يعرف الموت الرحمة الكامنة فيه، لا يعرف عذابه الغامر بالسكينة، لا يعرف أنّه المناعة الوحيدة من الألم، ولا يعرف لماذا يظهر الله فجأة كشبح يتكرّر في الضباب، وهو يلهو بمصائرنا كلعبة أطفال.

(طاخ ... طاخ ... طاخ ... أنتم موتى).

كما انحناءة الزمن، مات

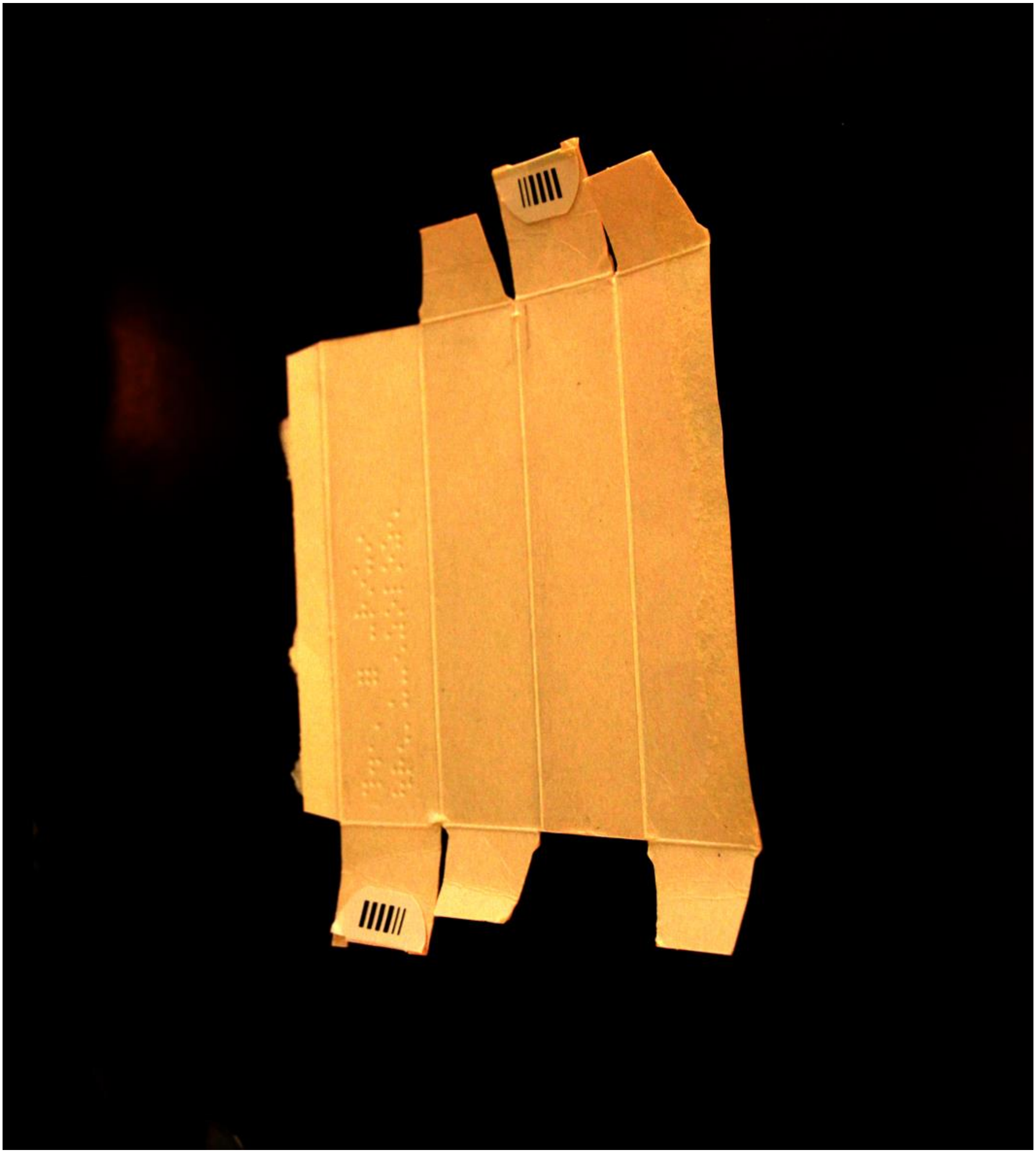
كما يأس بلا عون، مات

كما إراحة الروح، مات.

هو نفسه، الذي جرب الكابوس ينظر إلى موته

ينظر إلى الرغبة الباقية بعد الموت

الرغبة الطيبة التي لا تريد أن تصدّق.



(37)

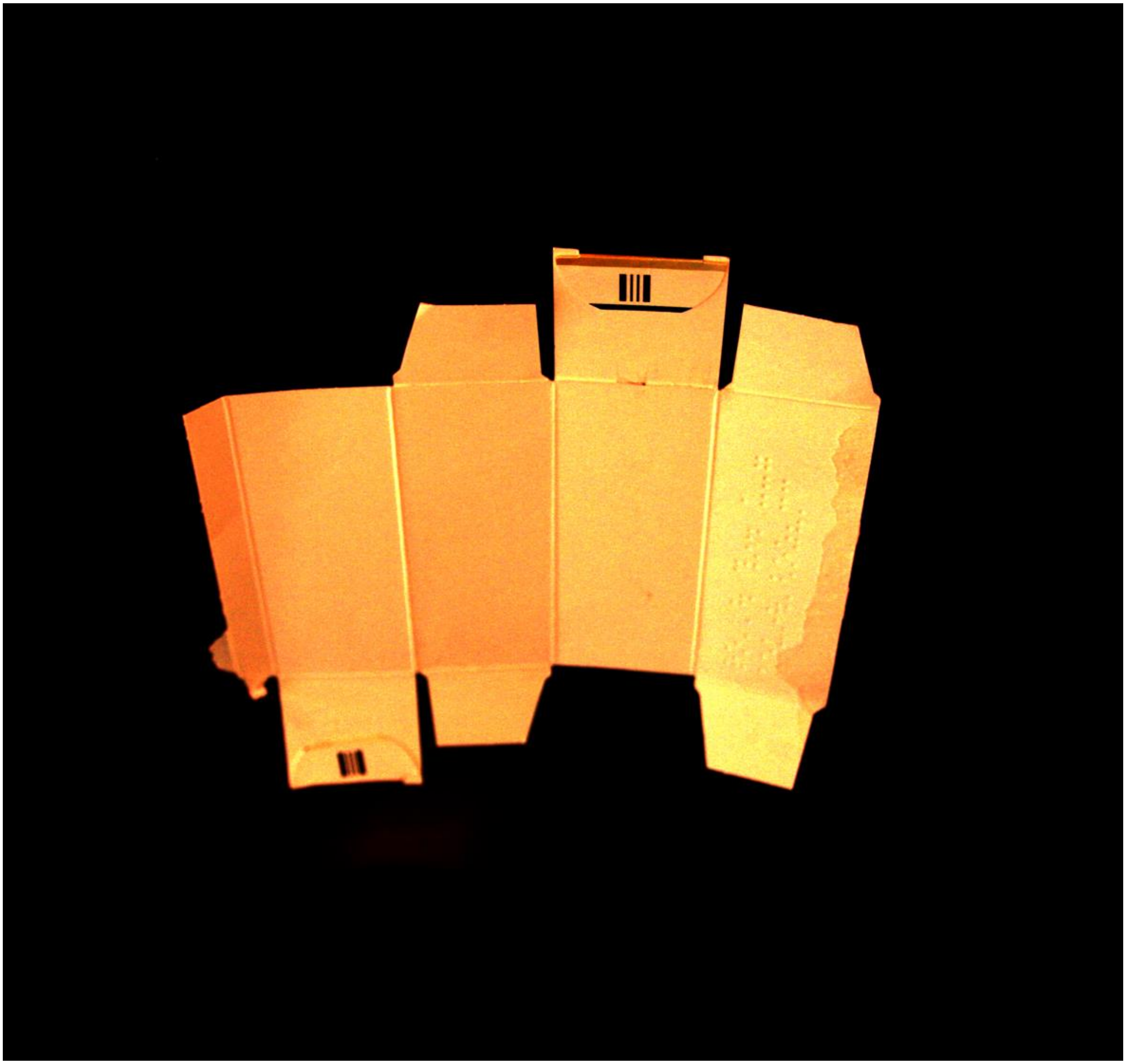
وحده الملاك

الملاك الأسود الكئيب

يحمل المكنسة وينظف الممرّات

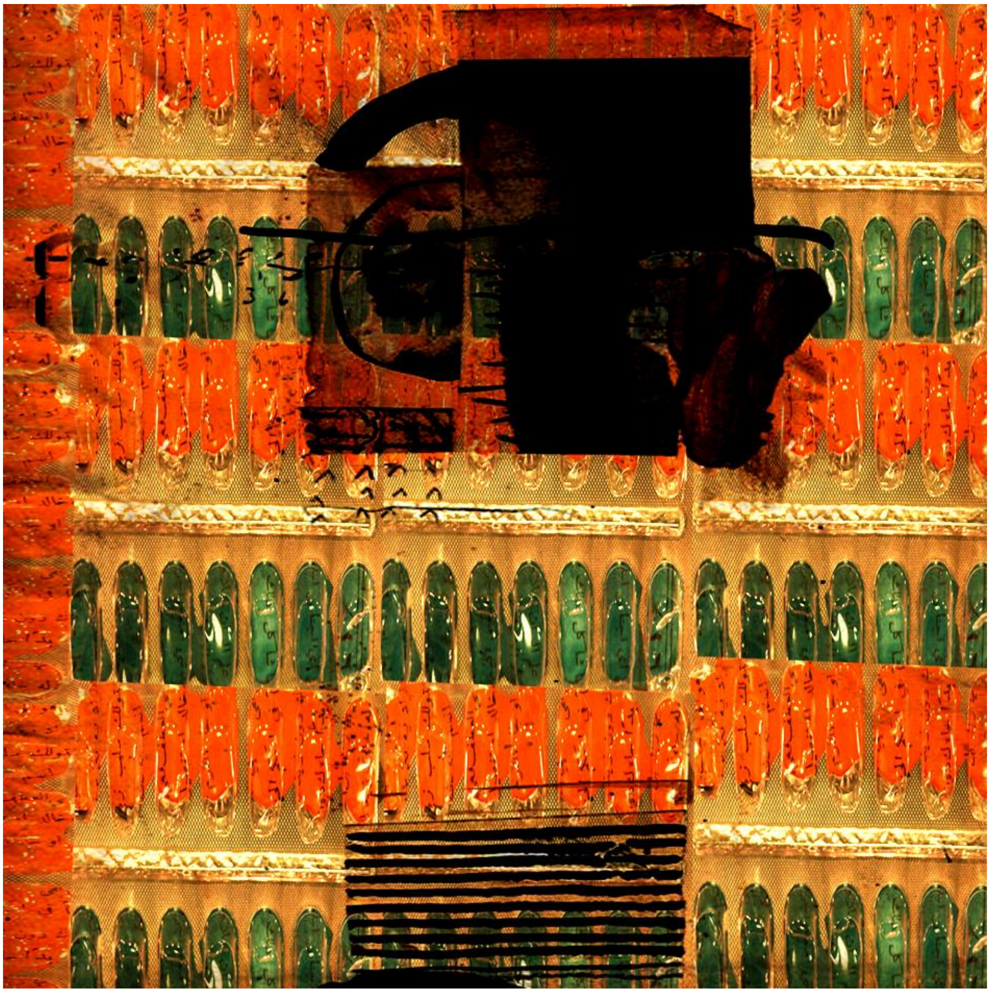
ينظّف الغرف ويمسح من الحائط عبارة تقول:

الربّ يقف وراء الجدران، ونوافذه غير مضاءة.



(38)

لا يستطيع أن يكتب قصيدة، حبّة دواء عالقة في مخيلته.



(39)

في هذا المساء الملطّخ بالدم والعواصف والذكريات، تعود كحراك متهدل، تحمل كتاب الحكمة الخفية، وتسأل الذكريات التي تتربص بكَ على هيأة مرضى مأجورين، أن تمنحك كنزاً لا تملكه. تجلس في خلوة وتحاول التوفيق بين الموت والحياة، تقول، الزمن يصنع الوثائق.

تقول، نعم، العقائد، أساطير مزوّرة

خدعنا بها الأنبياء السَّيئون

البارعون

رواد الصناعات البدائية

حرّاس الموت المقدّس

سحروا حياتنا بالثياب الملوثة بالدم

وفتنوا رؤوسنا بالإصغاء إلى إغواء العدم.

تقول، اللّٰه مثل معاهدة سلام بين الشك والإيمان، الطرف القوي يفرض شروطه.

تقول، الحرب بطاقة حمراء أخرجتنا إلى المنفى.

تقول، الكلمات تمرض أيضًا، القصيدة فريسة الداء والكتابة خيانة تضاعف النسيان

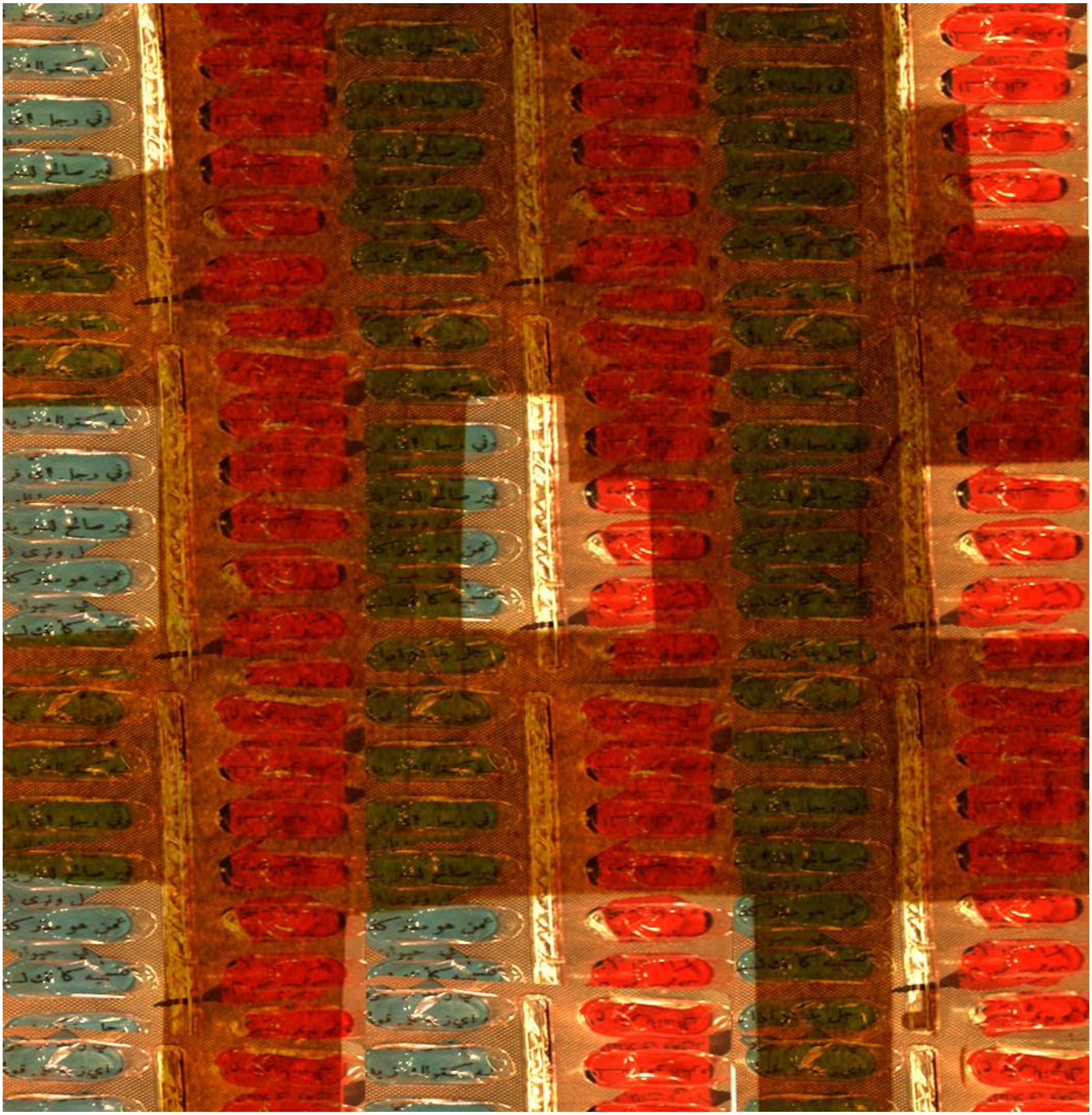
خيانة تحاول البقاء على قيد الحياة.

تقول، كيف لم تصل أعاجيب الجرّاحين إلى إدخال السيليكون إلى القصيدة؟ (ربما، يتقدّم أحد النقاد بهذا الاكتشاف).

تقول، نعم الجمال. الجمال النادر

لقد مات أثر إصابته

بجراثيم العالم.



(40)

في الليل يشدّ الستائر، ويحدّق إلى الأشباح الزائرة، وهي تأكل ثماره، تأكل أيامه، تأكل أحلامه، وتقفز كبهلوان فوق السكاكين اللامعة للموت، يتناول أحياناً أدوية تجلب الأمل، ويسمع تهليل الفرح المتحمّس، يجلس في انتظار الهبات السخيّة التي تمنحها عقاقير الـ (Polilocybic) و (Mescaline) و (LSD).

يلتفت إلى روحه، يجدها في جسد صبي في العاشرة من عمره، ينتظر ومضات البصيرة الإنسانية: -

من الكائن

من الملاك

من الشيطان

ويصرخ كإنسان أخير

- ماذا يفعل الربّ بكلّ هذه التريليونات من الصلوات؟

ويسمع تردّد الصوت داخل رأسه

- ماذا يفعل الربّ بكلّ هذه التريليونات من الصلوات؟

- ماذا تفعل العقائد التي تبيعنا الصلاة والدموع. تبيعنا الأمراض وحزمة شاملة من الأكاذيب؟

- ماذا تفعل السماء بكل هذا الفحم الناتج من حرق الأعصاب؟

- ماذا يفعل الكهنة الذين تسلقوا الزقورات؟

- ماذا تفعل المقابر الرائعة الطلاء في وادي الملوك؟

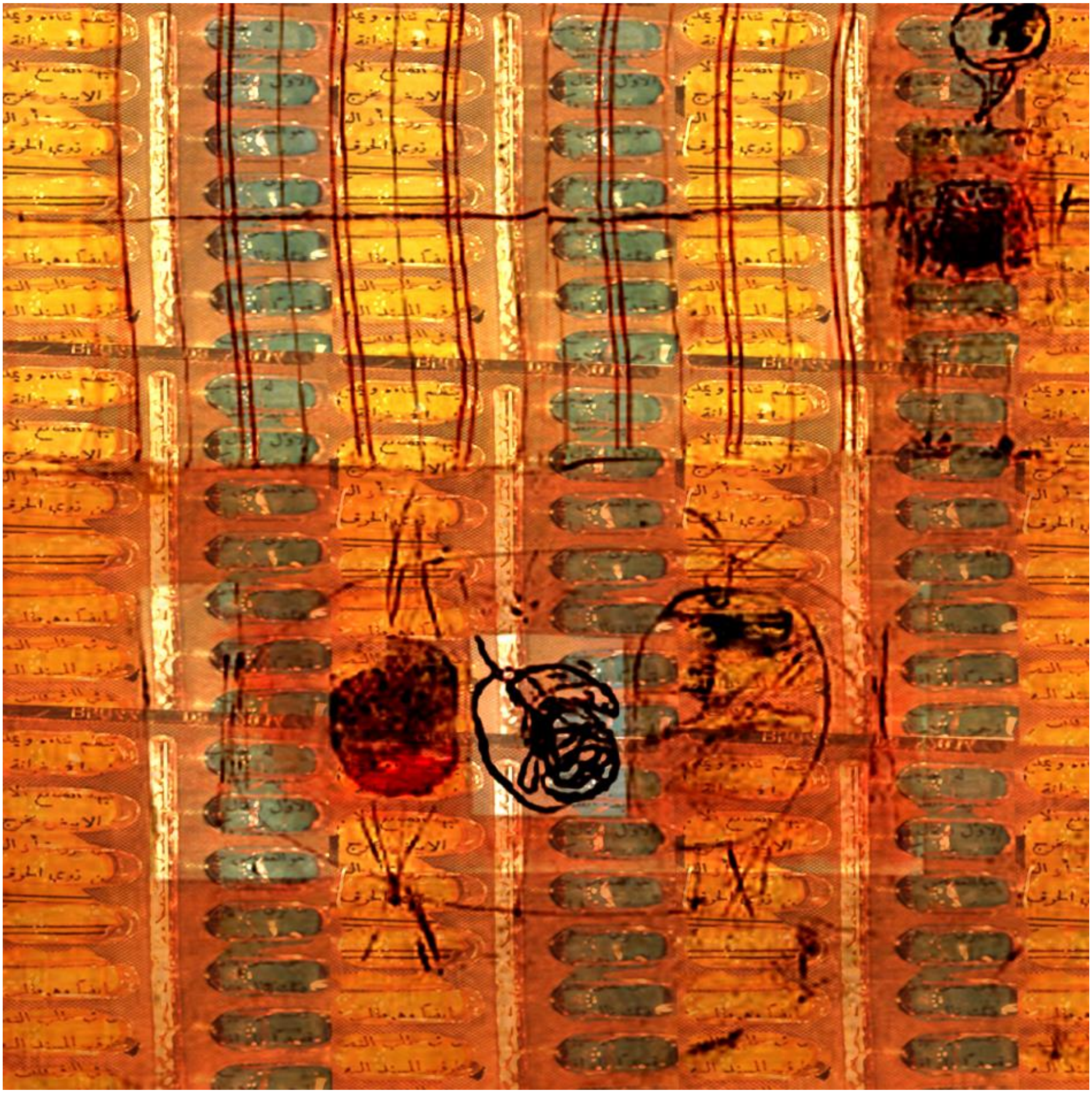
- ماذا يفعل هذا الافتتان بخرائب الماضي؟

- ماذا يفعل الخوف والشهوة، الأمل والألم، النعيم الذي تبشر به حياة ما بعد الموت؟

هذا كل ما يتذكره حين أيقظته حركة الأشباح خلف الستائر.

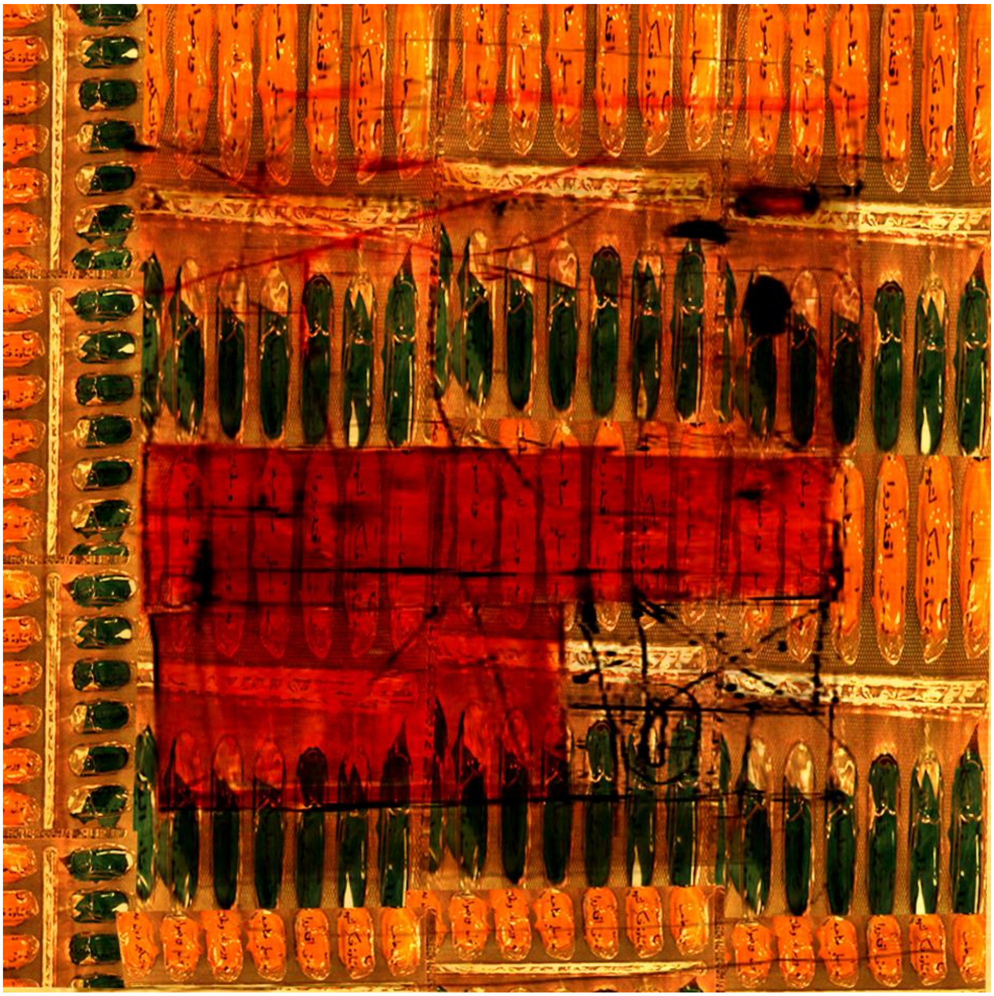
لكنّه، كان على يقين أنّه رأى روحاً ماثلة قدّامه

في حين لم يتعدَّ الأمر صورة تتراقص داخل رأسه.



(41)

أنقذتني الأشباح ولم تنقذني العقاقير.



(42)

تقول، الزمان لا تفكّر فيه إلا كائنات تحيا على كوكب دوار،

كيف اهتدى الإله إلى فكرة الزمان؟

تقول، هناك شيء غامض في هذه الحكاية التي تعتريها الشكوك

وتفكر في مرآة بلا آمال أو مخاوف.

تقول، آمل أن يحصل الربّ على ساعة جيب

ليخبرنا

بوقت القيامة

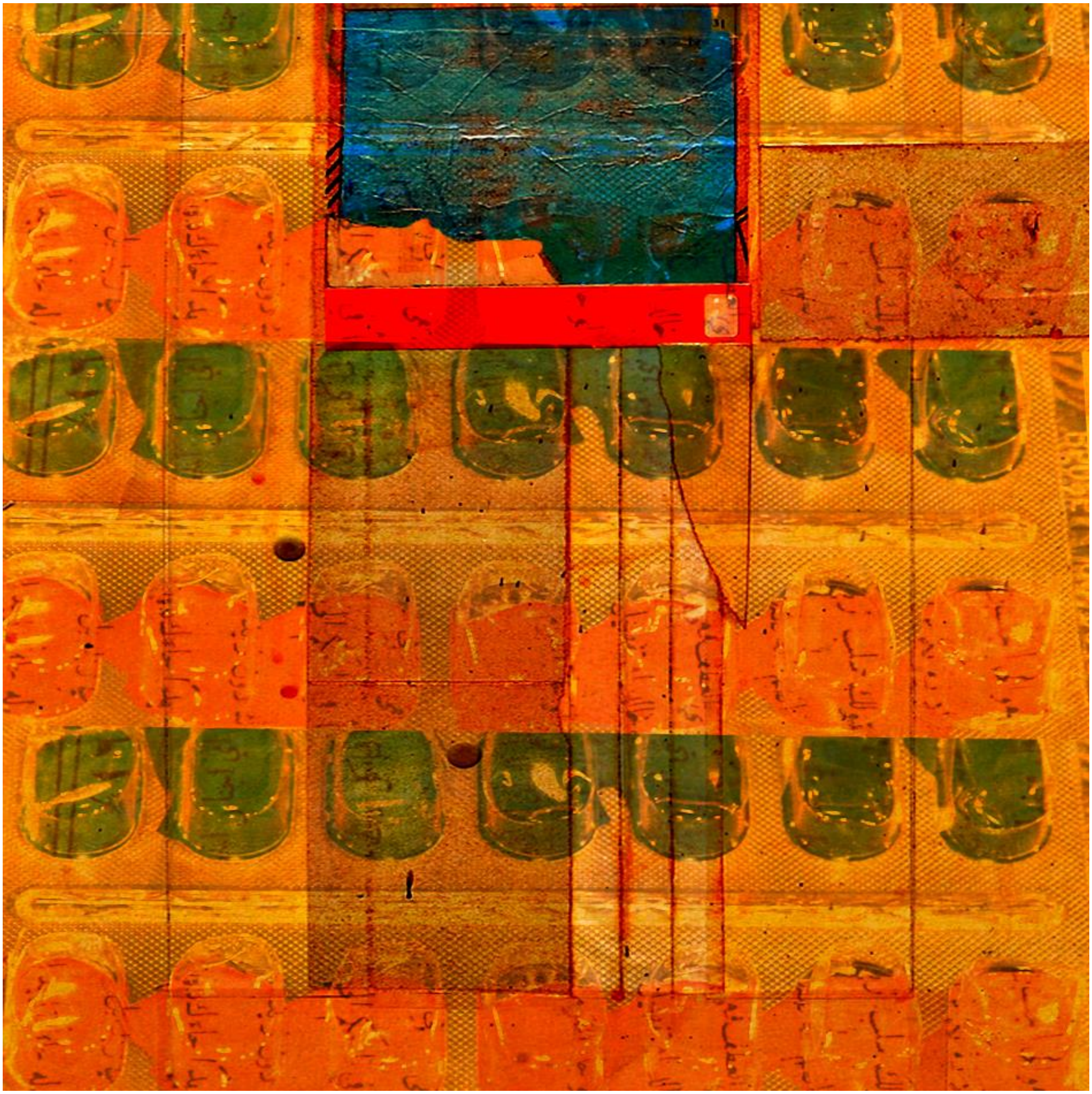
وآمل أيضًا

أن تكون ساعته دقيقة جدًا

في حدود خطأ

لا يتعدّى

ملايين السنين.



(43)

كانت هذه الذاكرة ذاكرتي

وهذا الإرث الأسود

هو روحي العائدة

من الموت.

(44)

عائداً من تجربة الموت إلى الحلم السيئ للحياة، تقول، اللّٰه يختار ملائكته. لقد انطلت عليك الحيلة، أرأيت يوماً ميتاً يحلم؟ أرأيت الأشباح تقايضك على ثمن النسيان؟ أرأيت ذكرى تذهب ولا يمكن استعادتها؟ أرأيت الملاك يرفض مباركة رجل يموت؟

تقول، بماذا يحلم النائم في العدم.

(هذا المجاز، لا جواب له)

تنظر إلى الثقوب السود التي تزيّن الكوكب، إلى المستقبل كوهم عنيد، إلى غياب الثمرة المحرّمة، لتأكلها، وتعرف معنى الخير والشر، إلى هذه الندوب في القول، تقول: ألم يتعب اللّٰه من عزلتهِ الطاهرة؟

تقول، أيّها الأب

يا صيدلاني العالم

يا من تزعم أنكَ أنتَ

ماذا تفعل أقدارنا المدثرة بشراشف سود؟

ماذا يفعل هذا المشرط الملوث بالدم؟

ماذا تفعل هذه الجثث المتعفنة وكلّ تلك الميتات الصامتة؟

ماذا تفعل كلّ هذه الشموع في غرفة العمليات؟

ماذا تفعل معجزاتك المختبئة في دورات المياه؟

ماذا تفعل هذه الكائنات المدفوعة إلى الألم كحصاة في مثانة الكون؟

ليتك ترى – أيّها الأب – عدد العقاقير في خزانتي.


ماذا
تفعل
أقدارنا
المدثرة بشراشف سود

(45)

الموت يمقت الخواء


ماذا
يريد
الملاك
الذي فتح الباب؟

(46)

هذا النهار الكئيب، نهاري

هذا الشغف الأسر نحو الخلاص، شغفي

هذا السأم الذي ينظر إلى الماضي ويتأمل المغفرة، سأمي.

للعقاقير، سأمها

للموت، سأمه أيضًا

وللغبار، سأم شراشف بيض

كم كان مناسبًا لو تتنزّه العقاقير وحدها، وأنا أبقى ساكنًا في السرير، الردهة تذهب تتنزّه، أيضًا، الجدران والحديقة وكأس الماء والصيدلية، وصمت يشبه النمور يذهب للنزهة، صمت حزين وساخن يتذكر موتى باردون. وأنا ساكن في سريري والأشياء تبدو لي وكأنّها تطير بعيدًا عني.

أعرف أنّ الملاك قليل الاهتمام بطقوس الحداد

وحزني متسامح

أعرف أنني هنا بسبب غدر العقاقير بي، أنظر إلى الطائر الذي ينقر زجاج النافذة، وأمسح دموعي بريشة من جناح الملاك. ماذا أفعل بالتعويذة الظاهرة على صدري، ماذا أفعل بالطلاسم...؟

الموت لم يحضر البارحة، ولن يحضر اليوم

موتي

يا موتي المخادع

تصبح على خير يا موتي.


الحرب بطاقة حمراء
أخرجتنا إلى المنفى

(47)

أعرف أنّ حياتي سوف تتوقّف ذات يوم كفيلم يخرج من شريط.


ماذا تفعل هذه الكائنات المدفوعة إلى الأم
كحصاة
في
مثانة
الكون

(48)

ماذا يريد الملاك الذي فتح الباب

؟

الملاك الذي كسر الزهرية حين كان يطير في الغرفة

الملاك الواقف في نهاية الردهة المعتمة

هذا الملاك

ظلّ يقطع عليَّ طريقي

ظلّ يصرخ في أحلامي

- لا عواء أيّها الذئب، لا عواء

صرخته حاشدة، ويأسه زاخر بالسخط.

ملاك الربّ هذا، ماذا يفعل هنا؟

وجوده غير المرئي

يشغل الفراغ كنبات ظلٍّ مبهم

أنفاسه تحرّك الأشياء في الردهة

بمهارة، كما يفعل أيّ ملاك

يقظته ساهرة، ولهاثه يضيء المصباح ويطفئه

نظراته التي تشبه ضوء المنارة

تخترق جسدي،

حين أسلك طريقي المرهق نحو الموت.

أحيانا أسمع همسه

- نبات الظل هو أنتَ

تأمله، تأمل كيف ينمو في داخلك

تأمل جذوره كيف تهاجم جسدك

تأمل المياه التي لا تعبره كيف تفيض من حوله

تأمل أغصانه المورقة كيف تصوّر قبرك

وترابه، كيف يحوّل حياتك إلى طين زلق.

هو الذي يجيد الاختفاء في الظلام

لم يقل، علينا أن نقدّم الأضحية إلى الربّ الدائن الغاضب

من أجل إرضائه.

لم يقل، الإيمان كلمة ملوّثة، واليقظة تحتاج إلى بعض الإضاءة.

تركني، أقف خلف نافذة زجاجية مغلقة منهمكًا في النظر إلى منظر العالم الخارجي

أرى صور الأشياء منعكسة على الزجاج،

وأقول: الكلمات مثلها مثل الكواكب تسطع داخل حجرات أحلامنا،

وألوح إلى حياتي وهي تغوص في عدم مظلم.

أنا المغرم بترك النهايات مفتوحة

تركت الأشباح تستحضر روح العالم – روحه الحيّة

وهذا الربّ – الكاهن الذي يحدّق إلينا من كلّ صوب

لا يريد أن يتركنا نتسابق مع الأموات

في لعبة نهائية

ربما، نكسب منهم، حق البقاء على قيد الحياة.

- أأنا ميت أيّها الملاك؟

أسأل، دون مراعاة الأقدار

وأنا أقف وسط بياض هائل

في عالم آخر، لكنّه حقيقي

لا أنام في ردهة

لا مرضى

لا ضمادات

لا عقاقير

لا حاجة لرؤية الملائكة

لا حاجة لرؤية الأشباح

ولا حاجة إلى الموت على الأطلاق.

أهمس له بهذه الكلمات

- ليلة هانئة، أيّها الملاك

- ليلة هانئة، يردّ الملاك

وقبل أن أغفو، يتقدّم ملاك الربّ

ويرقد بجواري مثل عظام صلبة

من الذكريات.


أأنا ميت
أيها الملاك

(49)

يا لي من محظوظ، لأنني سأموت

أيّتها الآلهة المذهولة بهيجان الكون.

يا لي من محظوظ، لأنني سأموت

في الأقل، سأنضم إلى صحبة طيبة

إلى موتٍ لا يشبه الحياة

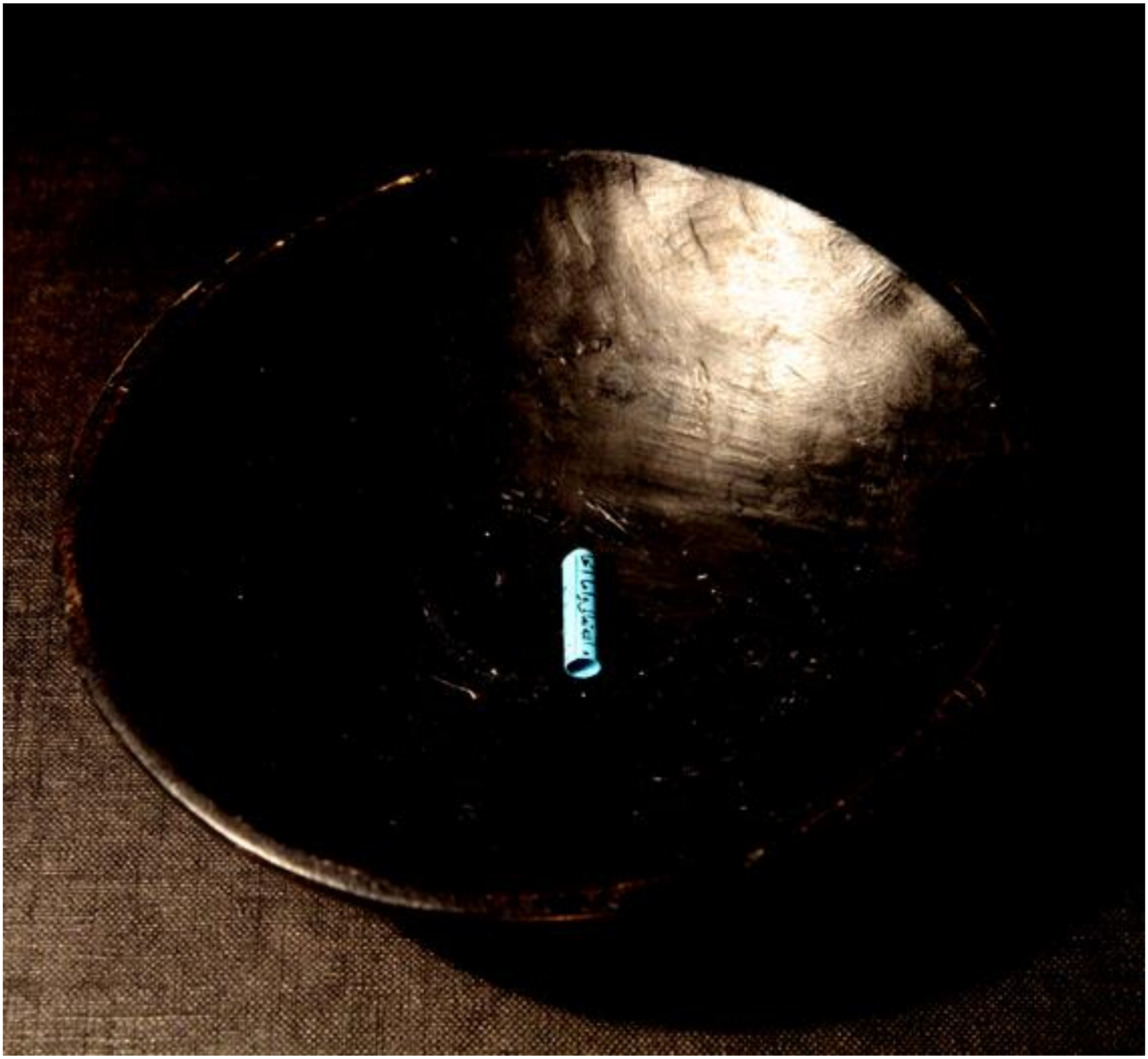
وسعادة غير توّاقة إلى مضامين خالدة.

يا لي من محظوظ، لأنني سوف أموت

سوف أذهب إلى تلك الأزمان المبكرة الخالية من الحياة.

أنا وحيد

أرجوك أيّها الموت أن تظلّ في صحبتي.



(50)

سمع صوت الطائر الملوّن الذي ظهر في حديقة المارستان، سمع بشارته، رأى نظرته البالغة الفطنة تتّجه إلى النافذة المفتوحة حيث يقف الملاك في الممرّ المؤدي إلى الباب.

الطائر لم يرَ الملاك

الملاك لم يسمع البشارة

والريح التي أغلقت النافذة احتفظت بالسواد.

وحده المتواري في عتمة الردهة، رأى الطائر والملاك معاً.

وحده احتفظ بصورة الموت إلى جانبه وقرع كأسه بكأس الميت وتمنّى له رحلة طيّبة إلى الآخرة.

وحده في لفته واحدة أخيرة، رأى الملاك متجهاً إليه

-مرحباً أيّها الملاك، هل جئت لتكون إلى جانبي

لكن، الملاك تجاهله وعبر الردهة، عبر الجدار، عبر الحديقة.

وحده، رأى الستائر، والشراشف، والكوابيس، وآنية الزهور تعبر خلف الملاك، رآها تعبر وتعثر بأكوام من العقاقير تشبه حياته. حياته المقلوبة كقفاز.

وحده، سمع صوت الطائر وشعر أنه يسمع صوت الزمن، لكنّ الزمن لا يطفئ عطش المسافر، ما زال يطفو منذ بدء الخليقة، يقطر دماً وساعات وفضلات، من اليد، من الحائط، عقاربه غبار طباشير، وأيامه ليست يقيناً.

لا يريد أن يتعمّق المعنى

لا يريد أن يكون عينة في متحف

تتأمل من وراء غشاوة الزجاج

سيرنا المضني في عنابر العالم.

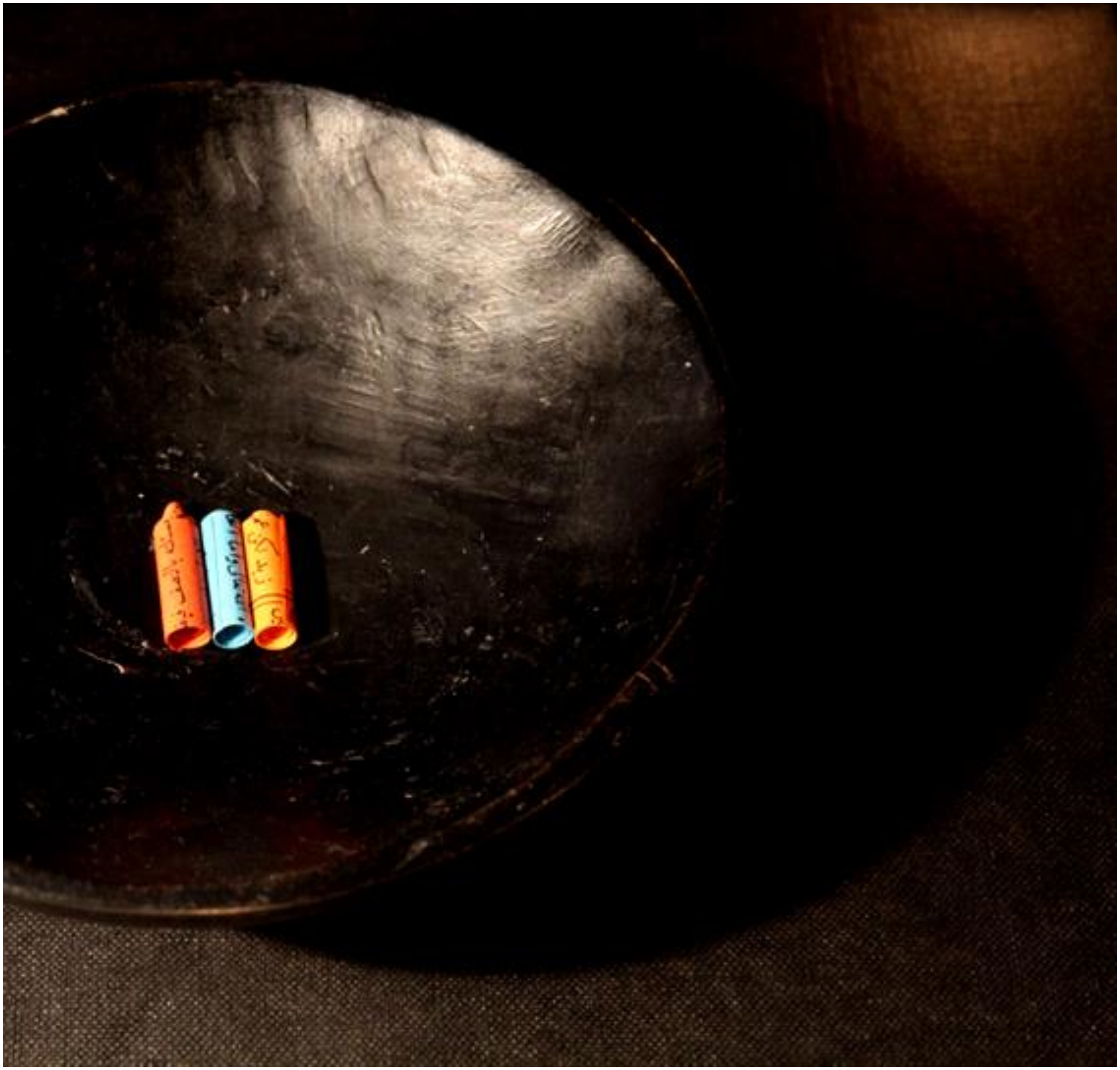
هذا الخواء كما الموت، كما العدم.

لقد رحلا الآن

الطائر والملاك رحلا

وحده المتألم، المنسي، المشتّت، المتواري في عتمة الردهة، رأى الأرواح المكلومة ولم ينبس بكلمة.

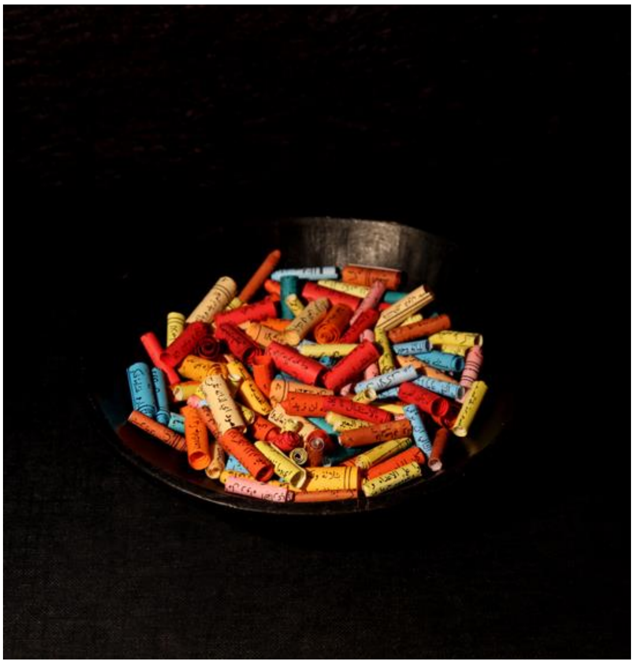
رفع كأس الماء وتناول حبّة الدواء.



(51)

عائداً من هذا القدر الماكر، الشقي، المراوغ، المحتال، تقول، يا لروعة السماء، ليس سماء الرب، بل تلك المضيئة في صالة العمليات، وتطلق دعابة عن النهايات التي لا يمكن التنبؤ بها.

تقول، أيّها الأجل، كم أنتَ ضئيل في النهاية.



هذه حياتي الراقدة فوق وسادة الكلمات
يسردها صيدلاني قليل الخبرة
يمسك بمشرط الجراح
ويداعب احتضارها بألم جليل.

سأطفئ الأنوار
وأجلس لمشاهدتها كفيلم طويل
أبيض وأسود
صامت
وقديم.

2014